"كفُّ الْقَدَرِ"

كفُّ الْقَدَر

روايـــة

طـه حسيـن

اسم الكتاب: كف القدر
اسم الكاتب: طه حسين
تدقيق لغوي: مصطفى حسين
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: 2020 / 10410
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 85706 – 7 – 0

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

"القدر"

"هنا يكمن البؤس واليأس والأسى"

"مرحبا بك في عالمي الخاص والمميز، أرجو منك أن تسترجع جميع أحزانك، لأنني سأضع يدي على كل ما تخفيه بداخلك"

"سامحني"

أهم إهداء

إلى الرجُل الذي قدَّم عُمره هدية لي، الذي أفنى حياته من أجلي؛ من أجل أن يرى ابتسامتي فقط، عندما تزاحمت الأفكار، ووجل منها فكري وغار، عندما زارني الحزن ودعاني إلى دنياه، عندما ضاق صدري بالهموم، وتُهتُ في غياهب أحزاني، عندما احتجت إلى وطن يحميني، وصدر يأويني، ناديت بها أيا أبي، ناديت بكلمة أبي، فلم أجد كلمة تمحو ما بي سواها، لم أجد دنيا تحتويني غيرك يا أبي..

شُكرًا لَكَ..

إلى من أنارت دربي، وقوَّمَت عثراته المُتتالية. إلى من وقفت جانبي، على الرغم من رحيل الناس جميعًا؛ يجب أن أعترف اعترافًا مُهمًّا:

"إن كان هُناك من يستحق الحُب؛ فالأم هي الأحق بذلك.".

شُكرًا لَكِ..

الإهداء الآخر

صديقي القارئ، أعلم أنك لن تستفيد شيئا من قراءة هذه الرواية، وأنك ستضيع من وقتك الثمين الذي لا تعلم ما هو، وأعلم أنك ستَسُبُّ وتشتم الكاتب بأقذع الشتائم في مخيلتك ولكن!! إياك أن تفعلها!! لا تفكر حتى في ذلك؛ لأني أعرف ما تفكر فيه. هل تفهم؟!

تمهيد..

ستعطيك الحياة دائمًا الحقيقة التي تصارع لتجاهلها، ستحمل بين طيَّات قلبك مزيدًا من الحزن والألم، وستقف شاردًا تائها في منتصف الطريق، لا تعرف أين تذهب ولا إلى أين تجرك قدماك، ستسأل هذا وذاك؛ لِمَ البشر يتغيرون وتتقلب طبيعتهم في لحظات؟ لِمَ يصطنعون وجها آخر لتحقيق شيء ما؟ وعندما يتحقق نرى شخصا آخر! لِمَ نتفاجأ دائما بأقرب الناس إلينا؟ ولا نرى سوء السيء منهم فقط! أسيدوم طويلا ذلك الألم أم أن هناك من سيأتي من بعيد ليداوِيَ هذا الهلاك القاسي المؤلم؟ الذي يسيطر على جميع منافذ القلب ويخنقهُ خنقًا!!

"إلى كل من دمر هيكلي يوما ما، شكرا لك،
لقد تعلمت كثيرًا منك"

"شعور مميت"

اليوم: الأربعاء، الثامن من أكتوبر، عام ٢٠١٢

****

تغيب الشمس على استحياءٍ وخجل، تجرُّ ثوبها الأحمر الجميل ورائها، تودِّع بلهفةٍ الأفق الجميل؛ فتنتشي السماء بحمرة الخجل، وتخبرنا خطوط الشفق الأحمر بمقدار الشوق الذي في قلب الشمس، وتتشوه الألوان، وتصبح كلها بلونٍ واحد، فينسحب النور معها، وتبدأ خطوط الظلام التسلل رويدًا رويدًا، وكأنها عروسٌ خضِّبت يداها حناءً، وتزينت ببعض الغيوم المتناثرة، ثم توارت خلف حجابها الساحر.

أطلق ياسين بصره إلى ساعة يده، فوجدها أوشكت على السابعة مساءً، أراح ظهره قليلا للوراء، ثم أخذ يتمطى يمينا ويسارا حتى كاد يسقط، يضغط على زر المذياع بجانبه، لتتصاعد أوتار نغمات أغنيته المفضلة (حب إيه؟) "للسِت"، كما كان يحب أن يطلق عليها، كان صوتها يشعره أنه مازال على قيد الحياة، وينتظر حتى تصل إلى (بعتني وفاكرني ليه، استنى قربك ليه؟) تنتابه القشعريرة، وكأن روحه تناديه من مكان بعيد تستعطفه، يتصاعد دخان سجائره من سيجارته الكائنة في أطراف يده اليمنى، يمد يده

في بطئ، ويلتقط كوب القهوة القابع على الطاولة الخشبية جانبه، ليرتشف آخر قطراته اللذيذة، فلا يحب أن يجلس في خلوته دون قهوتة المفضلة، خطفه جرس الهاتف النقال بصوت عال، فانتبه إليه ونظر إلى الشاشة، ويظهر اسم خالد صديقه، فضغط على زر الإجابة قائلا:

-أين أنت؟ أنتظرك منذ ساعات؟

-الطريق مزدحم قليلا، لكنني تخطيته وفي طريقي إليك..

-أسرع! لقد تأخرنا على العمل..

قالها وأغلق الخط، ونهض بتثاقل مغادرا غرفته، ومر برواق منزله، وسار بخطواته الثقيلة إلى الحمام، ليأتي ببعض الماء الدافئ ليسكبه على رأسه لعله يبعد ويزيح عنه تلك الأفكار والمواقف والهموم التي تؤذيه كل ليلة.. يتوقف كعادته أمام مرآته الصغيرة المحببة إلى قلبه، هذه المرآة الخادعة التي تخفي ما يجول في النفس، يتوقف أمامها خلسة، ويتأمل ذلك الوجه العابس الضاحك في الخفاء، يرسم وجهه ملامح جادة أمام الآخرين؛ ليتوهموا كم هذا الرجل صلب حد الثبات، لا يهتز ولا يكترث، تأبى كرامته أن تبوح ولو سرا عن حاجته إلى رفيقٍ لروحهِ يستطيع أن ينكسر أمامه ويكشف له عن نقاط ضعفه!

"دائما ما نظهر أمام الآخرين التماسك والقوة في مظهرنا الخارجي، ونحاول جاهدين إخفاء الصراع الدموي بالداخل"

ياسين، هو شاب تخطى الثلاثين من العمر، ذو بشرة داكنة، حسن الطلعة، معتدل القوام وسيم، له عينان دائريتان واسعتان لونهما بني، قد تشعر في بعض الأحيان أنهما جاحظتان قليلا، ويمتلك شعرًا داكنا أسودَ اللون، وحاجبان مموَّجان في انحناء، وأنف دقيق في وجه مستدير تظلله لحية كثَّة لم يشذبها منذ فترة، تعطيه شيئا من الوقار، ولديه شارب متوسط الحجم يعلو شفتيه.

قام بارتداء ملابسه المكونة من سترة صيفية رمادية اللون، وسروال أزرق الذي يفضله، على الرغم من امتلاء خزانة ملابسه بالملابس القيمة. أسدل الستار وفتح النافذة التي كانت جواره، ووجد خالدًا ينتظره بسيارته بعيدا عن المنزل بقليل، غادر في عجل وذهب للمقعد الذي بجانبه، وفتح الباب ثم جلس وقال:

-سنطرد اليوم بسببك!

ابتسم خالد في صمت وانطلقا..

رن جرس ساعة ياسين وهو في السيارة مع خالد معلنة عن وصولها التاسعة مساء. ولم تمضِ أربعون دقيقة منذ أن ركب معه حتى وصلا

المستشفى النفسي الخاص في مدينة نصر، توقفت السيارة على مقربة منها، وكانت عبارة عن مبنى ضخم كبير، محاط من الخارج ببعض الأشجار وأغصان الياسمين التي تعطي رونقًا بديعا، وتحيطه في المنتصف أرض خضراء واسعة ذات رونق رائع، وجدرانه مطليه باللون الأزرق، ونوافذه مطلية باللون الأحمر، ويتألف من أربع طوابق فوق الطابق الأرضي..

ها هي أول خطوة للدوام الليلي المُمِل، فقط الجلوس في هذه الغرفة الرتيبة المكونة من مكتب صغير بني اللون، وخزانة تميل إلى الاصفرار، وقرب الباب حامل للأدوات الطبية، وتلفاز صغير، أما بقية الغرف فالصمت يسود أرجاءها، وكأننا في عزاء دائم، قطع هذا الملل صوت إحدى الممرضات تقول:

-هناك فتاة وسيدة في انتظارك منذ الصباح. كانت حالة الفتاة سيئة للغاية، فكانت تصرخ وتلوح بيديها، ولم يستطع أحد أن يتعامل معها، فأعطيتها حقنة مهدئة حتى تراخت ونامت، وفيما يبدو أنها تعاني من حالة نفسية حادة.

قال وهو يرفع حاجبه الأيمن:

-إذا قمتي بتشخيص حالتها، فماذا أفعل أنا؟

احمرت وجنتاها في خجل وقالت: -أعتذر..

سألها :-وأين هي؟

قالت وهي تلوح بيدها: -نقلناها إلى الغرفة في الطابق الثاني..

قال وهو يفرك لحيته:-حسنا، جهزي الغرفة، سآتي لأراها بعد قليل..

أجابت: -لا تتأخر أرجوك؛ إذا اسيقظت ستعُمُّ فوضى كبيرة..

أومأ ياسين برأسه إيجابا وانصرفت الممرضة، وبعد دقائق من خروجها ارتدي معطفه الأبيض الواسع، والتقط سماعته الرمادية ووضعها حول عنقه، وأخذ يبحث عن قلمه حتى يدون حالة المريضة الجديدة، وقبل خروجه سمع طَرَقات على الباب، فسمح بالدخول. كانت امرأة كبيرة في السن، في نحو خمسة وستين عاما، قصيرة القامة، نحيلة جدا، حسنة الهيئة، لها شعر مُمَوَّج أبيض اللون، كانت عيناها بهما نظرة حادة، وأنف صغير مدبب، وتسمع صوت أنفاسها القصيرة فور اقترابك منها، ويظهر على ملامح وجهها الجدية، إضافة إلى بعض التجاعيد التي تعتلي وجنتيها، وترتدي سترة قصيرة لا تليق بسنها الكبير وحذاءها اللامع بأناقة..

جلست على كرسي مقابل له وسألته قائلة:

-أأنت دكتور ياسين؟

قال بلهجة متفحصة:-نعم سيدتي، إنه أنا، بماذا أخدمكِ؟

قالت بلهجة حزينة:

-لقد دلني إليك أحد أقاربي، وجئت إليك.. ثم استطردت قائلة: أرجوك انقذ حفيدتي! لقد ساء الوضع كثيرا؛ ستموت! أرجوك أرجوك!!

نظر إليها ياسين ورفع حاجباه في دهشة وقال:

-اهدئي يا سيدتي، سيكون الوضع على ما يرام. ما الذي تعاني منه، وأرجو منكِ أن تشرحي مفصِّلة؟

قالت والحزن يغمر قلبها:

-أصبحت لا ترى نور الشمس؛ تجلس في غرفتها دائما، لا تأكل ولا تتكلم، تستيقظ لساعة، وتنام لساعات أخرى، أصبحت هشَّة للغاية، الخمول وفقدان الطاقة يسيطران عليها، وكلما تحدثت معها تَمْتَمَتْ بكلمات غير مفهومة ومفككة، كأنها تضع كل ما يأتي لذهنها من كلمات، وتصيح فيَّ كأنني عدوة لها ولست جدتها، لم أعد أستطيع فَهم ملامحها، وفي أغلب الأوقات يظهر على وجهها الجمود واللامبالاة بطريقة مقلقة.

قاطعها ياسين قائلا: -ألم تلاحظي أي تغير في تصرفاتها؟

قالت بحسرة: -تصرفاتها كانت تتميز بالسطحية وعدم الاكتراث، وتقوم بحركات غريبة، أجدها تضحك ويصاحب ضحكتها بكاء مرير.

توقفت لثوانٍ ثم أكملت كأنها تتذكر شيئا ما:

-في إحدى الليالي، ذهبت لغرفتها حتى أطمئن عليها قبل أن أنام، وطرقت الباب مرات ومرات ولم تجبني، أحسست أن هناك شيء مُريب سيحدث، هرولت مُسرعة لأحد الجيران ليساعدني في كسر الباب، وما كنت أتوقعه حدث؛ وجدتها ملقاة على الأرض، ويدها تنزف بغزارة شديدة للغاية. صرخت بأعلى صوتي، لم أصدق أن حفيدتي تفعل هذا بنفسها، لم أعرف ماذا أفعل، وكأن الدنيا بأكملها توقفت من حولي، فقام جاري أحمد بحملها وأخذها إلى أقرب مستشفى بعد أن ربط يدها..

هز ياسين رأسه بالإيجاب وقال: نعم نعم.

ثم استطرد بعد أن قام من مجلسه:

-تفضلي سيدتي، سأذهب خلفك لأراها..

هزت السيدة رأسها وذهبت، وانتظر دقائق حتى تصعد إلى الغرفة وتأهب للخروج، اتجه نحو الباب ودلف إلى الخارج، استقل المصعد وتوقف عند الطابق الثاني. اقترب من الغرفة، وقبل أن يمد أصابعه يطرق الباب، سمع صوتا أنثويًا رقيقًا يقول:

-لماذا جئتي بي إلى هنا يا جدتي؟

قالت الجدة: -الحمد لله أنك ما زلتي تتذكريني..

زفر الصوت في ضجر وقال:

-لا تغيري كلامي! أريد الذهاب من هنا والآن!! لقد سئمت من الذهاب إلى الأطباء والمستشفيات، وهم لا يفعلون شيئا!!

قالت الجدة وقد اعتلا ملامحها اليأس:

-حقا؟ أتريدين الذهاب؟ أَلَمْ تَرَيْ ما أصبحتِ عليه؟! الأ ترين وجهك الذي أصبح شاحبا طوال الوقت، أتظنيني لن أتحرك لإنقاذك! بعد وفاة والديك لم يبقَ لي سواكِ يا ابنتي!

حركت جدتها مشاعرها الدفينة بوفاة والديها، وقالت وعيناها تلمعان من الدموع المحتشدة:

-صدقيني يا جدتي، إني بخير، أنا فقط أحتاج فترة راحة، وسأكون بعدها على ما يرام..

قالت الجدة بنبرة حادة:

-لن نتحرك من هنا قبل أن تعودي إليَّ مرة أخرى سالمة معافية، أتظنيني سعيدة لذلك؟!

مشاعر عميقة تتنازع داخلها، تقتحم عقلها عنوة منتشلة مقاومتها العنيدة، نظرة بائسة تحمل كثيراً من الألم والقهر، ونظرة أخرى حزينة إلى جدتها التي تحملت فوق طاقتها، ومرت بصعوبات كثيرة، لكن ليس بيدها

شيء، ذكريات مبهمة تأتيها بين الفينة والأخرى، محطِّمة ما تبقى منها ببكاء مرير متقطع، تتخلله شهقات كبيرة تقتص منها أشياء كثيرة، ما زالت تتذكره بكل تفاصيله وملامحه على الرغم من محاولاتها التي بائت بالفشل الذريع لنسيانه، يخفق قلبها بعنف عندما تشتم رائحة عطره من بعيد، تنسى ألمها وتذهب مسرعة لتقف عند النافذة متشبثة بأمل عودته، وأن نزيف قلبها لن يهون عليه، كأنها تسير في طريق طويل لا تعلم عن معالمه شيئًا، ولكنها تتراجع بخطوات مرتبكة تحدث نفسها قائلة:

-أيَّة عودة أنتظرها، أي أمل أتعلق به؟ لماذا تنهال ذكرياتي معه دائمًا، لقد قام بخيانتي! كيف ينبض قلبي بحبٍّ له؟! لقد اخترت هذا بمحض إرادتي، إذن لِمَ أشتاق إليه؟ أين ذهبت أنا؟ أين اندثرت ملامحي؟ كنت فتاة قوية صلبة، لديها قدرة على التحمل، أشعر أني لا أعرف من أنا، ولا إلى ماذا تحولت. هاتفني مرة في منتصف الليل:

-الو.. الو.. ماذا هناك؟

-اليوم يوم مولدك، وأريد أن أعترف بشيء لكِ..

قالت في قلق: قُل ما تريد..

قال بعد أن أخذ شهيقا:

أحبك، أحبك بقدر ما تحمله هذه الكلمة من قصص ومعانٍ..

انتفض قلبها في عنف، بدا ذلك في ارتعاشِ أطرافها، وساد الاضطراب المكان، أخذ العرق يتناثر فوق جبينها، بل دخل إلى قلبها من شدته، لم تعد قادرة على حمل الهاتف، فتساءلت في ارتباك:

ماذا!! قُلْتَ ماذا؟

صمت قليلا، ثم قال مستكملا عذوبةَ همسِهِ:

ألَمْ تسمعي؟ حسنا لا مشكلة، سأعيدها مرة أخرى.. وأخذ شهيقا وكرر: أنا أحبك..

سمعتها للمرة الثانية، وكأن الدنيا تدور من حولها، وبدأت الأرض الدوران حول نفسها، وقالت والخجل يفوح من وجهها:

لقد تأخر الوقت، عليَّ أن أغلق الخط..

-لن أغلق الهاتف حتى أسمع ردك!

-أمثلُ هذه الكلمة تقال في الهاتف يا أحمق؟

-معكِ حق..

قالت وهي تبتسم من خلف الهاتف:

-حسنا دعنا نتقابل غدا ونتحدث..

همس بصوت حنون: ليت غدًا يكون الآن!!

قالت وقد اعتلت وجهها ابتسامة خاطفة، وتشعر أنه يراها، فتخفيها مرة أخرى: سيأتي غدًا بلا شك ؛فلا تستعجل..

قال مبتسما: حسنا، لك هذا، سنتقابل غدا في مكاننا المعتاد..

قالت وقلبها يدق بعنف : حسنا، إلى اللقاء..

أغلقت الهاتف وهي فريسة اضطراب عميق، وأخذت تتمتم مع نفسها قائلة: ما الذي يحدث؟ كيف اخترقت كلماته قلبي هكذا؟! كيف لم أردعه؟ كيف لم أغلق الخط بوجهه؟ لماذا شعرت أني طفلة صغيرة لا تستطيع التحدث؟ هل إلى هذا الحد فُتِنْتُ به؟ ولماذا؟

قطع ياسين حديثها مع نفسها بطرقاته المتتالية، وفُتح الباب له، وكانت غرفة شديدة البياض وسقفها رمادي، كانت جميلة مرتبة مزينة بأثاث راقٍ، وتتألف من سرير صغير و"كومدينو" بجانبه أنبوبة أكسجين، وعلى اليسار أريكة سوداء اللون ذات مسند ضخم له أقواس، وجانب السرير من اليمين شرفة ولنوافذها ستائر من القماش.

جلس على الكرسي القانط جانب الفتاة، وأخذ يتفرس ملامحها، كانت في نحو خمسٍ وعشرين عامًا، متوسطة الطول، جسدها معتدل، وخصرها دقيق كأنه رُسِمَ خصيصا لها ونحت بيد نحات من العصر الروماني، وكانت ترتدي ثوبا صغيرا رماديَّ اللون من حرير خفيف، لُبِس

بشكل غريب، ولكنه على الرغم من ذلك أنيق، وتضع حول عنقها الأبيض سلسلة بها صورة أحد ما، وكانت تمر أحيانا بنظرها يمينا ويسارا، وكأنها تتوقع قدوم أحدٍ ما، ولكن شعرها القصير المتناثر على وجهها الذي يميل إلى اللون البني بأفتح درجاته، لم يمنع من إظهار أنوثتها البارزة، إذ تمتلك بشرة بيضاء، وأنف دقيق، وعيناها الزرقاء الضيقة الحائرة المليئة حزنًا عميقا، وشفتاها القرمزيتان الممتلئتان، على الرغم من رفع جسدِها، وهناك احمرار يزين وجنتيها اللتين يتسلل منهما بريق لامع..

اقترب منها ولمح الدموع على وجنتيها وهمس في هدوء:

-اسمحي لي، أريد التحدث معك قليلا!

نظرت إليه في اضطراب بالغ، وقالت في ضجر:

-لا أريد الحديث مع أحد!!

قال بابتسامة خبيثة:

-لِمَ؟ لن أقوم بقتلك، هي فقط بضعة كلمات ستخرج منك..

امتعض وجهها وقالت:

-لا شأن لك، ابتعد من هنا!!

ساد الصمت دقائقَ، وقال ياسين مقاطعا هذا السكوت: حسنا، سأتركك الآن، لكن اعتادي على هذا الوجه، لأنكِ سترينه طوال الوقت..

وأكمل: أريدك بالخارج سيدتي. وانزاح من على الكرسي وخرج..

وما أن سمع صوت مزلاج الباب يفتح، حتى قال:

سيدتي، وفق تشخيصي ووفق الأعراض التي ظهرت، اتضح أن ابنتك تعاني من "اكتئاب حاد"، وهي في حالة متقدمة..

اعتدلت السيدة في وقفتها وقالت: ما الاكتئاب هذا؟

قال أسفًا:

الأكتئاب، هو أكثر الأمراض النفسية خطورة، وهو اضطراب مِزاجيٌّ، لأنه يؤدي إلى الشعور الدائم بالحزن والتعاسة وفقدان الاهتمام بالحياة، ويؤثر على المشاعر والأفكار، كما يسبب عديدًا من الأمراض النفسية والجسدية، وشعور المريض الدائم باليأس، وأن الحياة لا تستحق أن تعاش، والتفكير المستمر في الموت، وتكثر فيه إلحاق الأذى بالنفس، مثل حالات الانتحار، وهي كثيرة للغاية..

وضعت يدها على رأسها في حسرة وانهمرت باكية..

فقال ياسين محاولا تهدئة الموقف:

سنبدأ بالعلاج النفسي من الغد، إضافة إلى الالتزام بالدواء..

أومأت السيدة برأسها إيجابا وشكرته..

ذهب ياسين وسار بخطوات عاجلة إلى مكتبه، وجلس على كرسيه المتحرك المفضل، وأسند رأسه على الحائط وراءه، وشرد بذهنه بعيدًا، وسارت شكوكٌ في ذهنه، وأخذ يتمتم مع نفسه قائلا:

ما أعمق الموج في عيني هذه الفتاة، تشعر كأن من ينظر إليها قد تهوي به الأمواج في أيَّة لحظة.. هل لهذه الفتاة علاقة عاطفية سابقة؟ وهي من فعلت بها هذا؟ لَمْ يسبق لي أن رأيت أحدا هكذا، ليس مرضها؛ فأنا معتاد على هذه الأمراض، لكن لغموضها المزخرف بالشموخ وكبريائها الذي يتجسد في وجنتيها، رُكُودُ وسكون عينيها على الرغم من السواد القابع تحتيهما، لكنهما لم تكونا عينين عاديتين، بل كأنهما خلقا من الورد الذي تفوح منه رائحة عطر لم يرَ له مثيلا في العالم بأكمله، وفوق ذلك على الرغم من برائتهما، فهما يحملان كثيرا من الألم والحيرة، وثوبها غير المرتب على الرغم من أناقته. فما حكاية هذه الفتاة؟

انتبه لوجود خالد بالغرفة بعد أن دخل دون أن يشعر به، فقال في تعجب: مذ متى وأنت هنا؟

قال بضحكة ساخرة: منذ خمسة دقائق تقريبا، ولم تنتبه أنت لوجودي، بماذا تفكر؟

قال في تعلثم: أنا؟ لا، لا شيء مهم. أين كنت؟

قال بضحكة خبيثة: قابلت ريهام، وجلسنا في مكتبي نتحدث قليلا..

قال ياسين مازحا: ريهام؟ لقد سئمت من علاقاتك العاطفية المكررة..

قال خالد:يا صديقي، لم أعد ألقي بالا للحب، لقد تغيرت، فالآن ريهام مجرد صديقة لا أكثر ولا أقل..

قال ياسين وهو يضحك: سأصدقك هذه المرة فقط..

صديقه خالد، هذا الذي يتحدث معه، هو شاب تخطى الثلاثين عاما، أنيق، جذاب، له أكثر من علاقة في آن واحد، كان يحب النساء كثيرا، وكما يقال هو زير النساء. ذو بشرة خمرية، متوسط القامة، حليق الوجه، له أنف جميل، وعينان تميلان إلى اللون البني، يرتدي فوقهما نظارة رمادية اللون تليق ببشرته الخمرية، وشعره أشقر كلون الرماد، ولكنه يظل في عينيه طفل صغير مدلل يبكي ويفرح بسبب ودون سبب، تقترب صداقتهما من عشر سنوات، وكان ياسين يُعد ملجؤه ووطنه الوحيد والأول الذي يفتح له صدره ليلقي جميع أوجاعه، كان ملاذه وأمانه والاستغاثة السريعة له متى تألم، لقد تلقى الضربات بدلا منه، وكأنه ركن غرفته، ما أن يشعر بالحزن حتى يسرع ليقوم بإنقاذه من السقوط، وعندما يخرج من العلاقات العاطفية الشعورية الفاشلة، يفقد جزءًا من روحه، ويفقد كيانه، ويظل مصدوما بعد

كل علاقة، فيقوم ياسين بترميم ما تم تخريبه. وذات يوم في حديث دار بينهما، قال خالد دون مقدمات: ما الخذلان؟

تفاجأ ياسين بسؤاله، وقال بعد أن تضاربت أفكاره قليلًا:

سؤالك صعب للغاية، ولكن سأجيب عنه.. يمكنني سؤالك: أهو الهلاك؟ أم الدمار؟ أم الموت وأنت حي؟

سأجيبك أنا.. وأخذ نفسا عميقا وقال بعد أن زفره:

الخذلان يا صديقي، هو أبشع صور الألم وأكثرها حرارة، تفتيتٌ لخلايا جسدك العصبية، بترُ جزءٍ من روحك وانطفائه إلى الأبد، كأنك تواجه كابوسًا مفزعا، وتتشبث بأمل استيقاظك، ولا تصحو منه أبدا، بل تظل سنوات حتى تستطيع إدراك هول الصدمة التي دخلت قلبك فأهلكته.. أتعلم؟ يكون الخذلان دائما من أقرب الناس إليك، من شخص لا تتوقع أن يقوم بتحويلك إلى حطام، بل ويسقطك داخل بئر عميقة من الحزن للتحول إلى شخص قاسي القلب، لم يعد يعرف طريقا للرحمة، والأصعب من الخذلان، ما بعد الخذلان، فتصبح شيخا شاب شعره، وتتولد الشكوك، وتساورك التساؤلات، وتنقض إلى ذهنك وتقول:

أأنت؟ كيف؟ كيف أنت؟ هل أنا أحلم؟ هل مِتُّ؟ أتفعل بي هذا؟ على الرغم من كل ما فعلته لأجلك؟

قال وعيناه تلمعان: خاب من سأل طبيبا نفسيًّا!!

قال ياسين وهو يضحك: تأتيك الصدمات واحدة تلو الأخرى يا صديقي، فالصدمات بارعة في اختيار توقيت ظهورها بدقة، لتنقض عليك كالفريسة التي على وشك الموت، وتشهر مخالبها لتغرسها في قلبك، وتبتلع روحك وتظل تأكلك حتى تشبع، وتشعر أنك انتهيت!!

قال خالد متسائلا: وكيف أستطيع الإفلات منها وتفاديها إذن؟

اعتدل ياسين في جلسته وقال:

بألا تثق في أحد كل الثقة، بل تترك باب قلبك مفتوحا لخروج أي شخص، ولا تفرِّط في مشاعرك، حتى لا تنتهي أنت، وعندما تسقط وتتعثر وتتأرجح خطواتك في الرجوع إلى الوراء، لا تكترث، انهض وقم من جديد، وعندما يبتليك المرض، قف واتسند على نفسك، فأنت سيد ذاتك، واعلم جيدا، لا يستطيع هزيمتك سوى شخص واحد فقط..

قاطعه خالد: من؟

أكمل ياسين قائلا:

أنت!! أنت فقط! لا تترك أحدًا يلعب ويلهو كيفما يشاء داخل قلبك، يسبب لك العناء والمشقة ويخرج ويقول آسف! يظلُّ يأكل ويأكل ما بداخلك، ويأخذ السعادة منك ويقول سامحني!! بل التقط لوحتك واكتب

عليها كفى! إلى هنا وكفى! كفى كسرًا للقلب، كفى كسرًا للخاطر، كفى ابتلاعا للروح وهتكًا لعرضه، كفى كسرا للنفس! كفى بقاءً وحدي والشعور باللاشيء، كفاك تحسرا على ما مضى من ذكريات، لا تستلم، بل حاول دائما.. فالذين يحاولون لا يخسرن أبدا..

قال خالد في ذهول: كيف عرفت كل هذا؟

قال ياسين بابتسامة عابثة:

التجارب يا صديقي، على الرغم من قسوتها ومرارة خوضها، وتفننها في انتشال جزء منك، إلا أنها كافية وحدها لتعلمك، بل تجعلك تشعر أنك بلغت من العمر أرذله، وأنك مستعد وجاهز للموت الآن، والتجارب الزائفة أكثرها صعوبة؛ لأنها تقوم بصفعك عدة صفعات متلاحقة ومبرحة للغاية، تميت رغبة الحياة داخلك، ويحيط بك القلق والرهبة، وتجلسك وحيدًا في غرفتك لاستيعاب ما حدث، ومع مرور الأيام والليالي، تكتشف أنها لقنتك درسا لن ترتويَ بعده، بل سيظل ذكرى مبهمة تطل عليك في خلوتك دائما..

قال خالد وهو منبهرا بكلامه: صديقي أصبح فيلسوفا حقا..

ضحك ياسين ونظر إلى ساعة يده لتنطق عقاربها بوصولها للرابعة فجرا، انتهى الدوام الليلي غير الممل اليوم كما كان يظن، غادر المستشفى

متجها إلى بيته في العاشر من رمضان، وما أن وصل إلى أول الشارع، حتى نزل من السيارة مودعا صديقه خالد على أن يتقابلا غدا في الميعاد نفسه، سار بخطوات عاجلة متهالكة لعدم نومه منذ يومين، وصعد إلى المنزل، وتوجه إلى غرفة نومه مباشرة، بدَّل ملابسه، وارتدى منامته الحريرية الجديدة التي كان ابتاعها أمس، وارتمى على الفراش، وغطَّ في نوم عمي

***

"تحطَّم الفؤاد من أكثر الأماكن أمنًا"

"وصال"

تنفتح بوابة صغيرة، لتبدأ سيمفونية لحن عذب، عزف لموسيقار بارع، وتحتضن شجرة الياسمين أغصانها في دلال، وتتساقط قطرات الندى على أوراق الشجر، لتعطي رونقا بديعا، واكتملت كرة الشمس في الظهور، وتستعد لفتح حقائبها الواسعة التي تكونت هنا وهناك، لتنعكس ألوان الطيف، وتتعانق في الهواء وكأنها تطبع على جبين السماء قبلة الحياة، لتستيقظ الأرض من نومها بعد ليلٍ طويل، وتبدأ أشعتها التسلّل رويدًا رويدًا، حتى تُلصق اصفرارها على وجه الجدران، فتتلوّن الأرض بكلّ ألوانها الزاهية، بعد أن كان يطمسها الظلام ويغطّيها بسواده، فترسم البهجة على النوافذ..

تستيقظ من غفوتها المضطربة، مصاحبة كوابيس متكررة برتابة مستفزة، تتلملم في سريرها الوردي المرتب بعناية، وتحاول تنظيم أنفاسها، تكتم دموعها التي تتجمد داخل مقلتيها، وتأبى أن تترك لها حرية الخروج، يغمرها العرق، تنظر بعين باهتة إلى الزهور الذابلة على الطاولة الخشبية، تستحضر ذكرياتها المؤلمة، تبتلع ريقها بصعوبة بالغة، تجرُّ قدميها إلى النافذة

وتقف أمامها، وتنظر إلى أشعة الشمس الحارقة.. ما أجمل شمس الصباح، تأتيك دون قيود ولا توقيت، لتنير وتزين عتمة ظلامك بالأمس، وتنسيك قليلا مما يؤلمك. تعود إلى الفراش، تسمع خطوات إحداهن تقترب، تلتفت باستكانة شديدة للطرقات الناعمة على الباب قائلة: تفضل..

دخلت الممرضة وقالت مبتسمة: مرحبا بكِ يا وصال، سأكون ممرضتك، وأنا اسمي ليلى، قد بعثني إليكِ الطبيب ياسين، وسأكون في خدمتكِ..

قالت: أين جدتي؟

أجابت وهي تقيس لها ضغط الدم: لقد ذهبت إلى البيت، وقالت لي أن أخبرك أن لا تقلقي؛ لن تتأخر.

واستكملت في تعجب وقالت: لمَ ضغط الدم منخفض؟

هزت وصال كتفيها وقالت: لا أعرف..

قالت ليلى: عليك أن تلتزمي بدوائك يا عزيزتي، حتى تضمني سلامتك، وسأحضر لكِ الفطور بعد دقائق..

قالت: حسنا، شكرا لكِ..

غادرت الممرضة الغرفة. وقامت وصال من مجلسها تتحرك بوهن شديد، وتسير بخطوات متعجرفة غير متزنة إلى الحمام، وتقف أمام مرآة

غرفتها الصغيرة مشدوهة، تحاول أن تعبث بخصلات شعرها البنية لتزيحها من على وجهها وترجعها إلى الوراء، وأحذت تحدث نفسها:

ماذا بكِ يا وصال؟ ما الذي يحدث لكِ؟ هيا تحدثي ماذا يحدث؟ لمَ هذه الرغبة في البكاء؟ لمْ تكوني ضعيفة يوما إلى هذا الحد!! لِمَ أصبحت الوحدة جزءًا منك؟ لِمَ فقدتِ روحك؟ لِمَ فقدتِ نفسك؟ لمَ تهربين من الحقيقة دائما؟ لمَ أصبحتِ هكذا؟ أهو الإحساس بوطأة اليأس الذي يقبع تحت ذلك الحزن؟ ألَمْ يحن الوقت أن تواجهي؟

لا تترك نفسك للهروب من آلامك، لا تكن جبانا، ولا تدعها تسيطر على مجرى حياتك، أو تترك لها مكانا داخلك، بل واجهها وبكل قوة، وأنظر في عينيها وأوقفها قبل أن تتملكك، وتحدث معها واصرخ بها وقل:

ما الذي تريدينه مني؟ لِمَ لا تبتعدي عني وتتركيني؟ هل أنا أستحق هذا؟ المواجهة دائما ما تكون صعبة للغاية، لكن اعلم دائما، أنه عندما تواجهها ستنتهي كل أوجاعك، وستحيا بسعادة.. وهنيئا لمن تغلَّب على أوجاعه واستطاع أن يواجهها بثقة..

تعتصر وصال قلبها بيدها، وتهجم دموعها على وجنتيها هذه المرة دون مقاومة منها، تسمع صوت جدتها من بعيد، تمد يدها مسرعة وتضع الماء على وجهها حتى لا تلاحظ جدتها شيئا، وتعدِّل من هندامها، وتأتي

بالمشط لترفع خصلات شعرها للخلف، وتخرج من الحمام وقطرات الماء تلحق بها، وتزحف على أرضية الغرفة، وتستكين على فراشها وتلملم أفكارها في هدوء، يرن في أذنيها صوت ضربات قلبها الواهنة، وتدخل جدتها فتبتسم على مضض وتقول:

أين كنتِ يا جدتي، لقد خِفت كثيرا أن تتركيني أنت أيضا..

همست في دلال: لا يا حبيبتي، لا أستطيع أن أتركِكِ، لكن قد ذهبت للبيت لآتي ببعض من ملابسكِ وأغراضكِ المفضلة لتستخدميها طوال فترة إقامتكِ هنا.. ولقد جلبت لكِ طعامكِ المفضل حتى نأكل معا..

ابتسمت وصال وقالت: أحبك يا جدتي بما تبقى لي من مشاعر..

لم تعلِّق الجدة على كلامها. وانتهيا من تناول الفطور، ونظرت وصال إلى كف يدها الذي تحول إلى اللون الأزرق وجسدها المتهالك، وفي حزن، يسود الصمت بينهما إلى أن جاءت ليلى حاملة معها فطور المستشفيات الممل، وقامت بوضعه على الطاولة، وقالت قبل أن تخرج وهي تنظر إلى الجدة:

عليك النزول إلى الدور الأرضي لتصفية بعض الحسابات..

نظرت الجدة إليها وقالت: حسنا يا ابنتي، سأنزل معكِ..

أكملت وهي تنظر إلى وصال: لن أتأخر يا عزيزتي..

نظرت إليها بابتسامة مستنزفة، تداري بها كل ما يجيش في داخلها من ألم. نهضت من سريرها منتزعة نفسها من غبار الذكريات النائية، بذراعين خضبتهما الدماء، وشظايا الانكسار التي تركت في أنحاء جسدها، تسير إلى الشرفة وفتحها، تهاوت على الكرسي في إرهاق، وتغمض عينيها باستكانة شديدة، تستسلم وتسلِّم نفسها لذكريات محملة بالسواد، وتذهب بذهنها بعيدًا، تغمرها أفكار متضاربة ومتفككة، ترتجف من رأسها حتى أخمص قدمها، وتشعر بخواء داخلي مميت، وغزارة العرق التي داهمت وجهها، وتقذفها أحلامها من مكان إلى آخر، وتسأل نفسها: متى ينتهي كل هذا؟ وهل أريد من الأساس أن ينتهي؟ لا أعرف ما كل هذا، لكني على أمل وثقة بأن الله سينهي كل ذلك، تكتم صرختها داخل قلبها، والدموع تقف في عينيها. شعور مبطن من القهر والضعف يكبل أطرافها بسلاسل صلبة، تحولت ملامحها وأصبحت مصبوغة بصرخة استغاثة، ضربات قلبها تتسارع، وتلهث أنفاسها بقوة، تحيط رأسها بيدها، صداع رهيب يتملك منها، ويكاد أن يشج رأسها نصفين، تسمع صوت أم كلثوم وهي تغني من بعيد، تفتح عينيها في بطئ، تستمع لتلك الأغنية التي تنساب داخلها:

اسأل روحك.. اسأل قلبك ** قبل ما تسأل إيه غيرني..

أنا غيرني عذابي في حبك.. ** بعد ما كان أملي مصبرني..

غدرك بيا.. أثَّر فيا.. واتغيرت شوية.. شوية..

اتغيرت ومش بإيديا وبديت أطوي حنيني إليك..

وأكره ضعفي وصبري عليك واخترت أبعد.. وعرفت أعند..

حتى الهجر قدرت عليه! شوف القسوة بتعمل إيه..

كنت زمان بلاقيك بحناني بحر محبة وبر أمان..

كنت بحس أن أنت زماني يومي وبكره وبعده كمان..

كنت بشوفك بعيون حبي، وأنت بعيد أو وأنت بقربي..

أقرب من بسمتي لشفايفي، أقرب من إحساسي لقلبي..

بعد الود اللي راعيته لك بعد الحب اللي وهبته لك..

بعد العمر اللي أنا عشته لك فيه ايه تاني أقدمهولك؟

غدرك بيا.. أثَّر فيا..

وقفت بغير اتزان، وتسندت على السور أمامها، وتبحث بعين متلهفة عن مصدر هذه الموسيقى، من يعلم أنها تحب أم كلثوم، وخاصة هذه الأغنية، أخذت تُمرر نظراتها يمينا ويسارا إلى أن لمحت بطرف عينها رجل كبير في السن، جالسا أمام شجرة خضراء عملاقة على كرسي متحرك، ومعه راديو قديم ويبدو أنه من التسعينيات، كانت نظرته مصوبة إليها، ورفع يده بعد دقائق من التفرس ملوحا لها، فما كان منها إلا أن ابتسمت ولوحت

بيدها هي أيضا وتقول عقلها من هذا؟ مِن الممكن أن أكون قد تعرفت إليه وقد نسيته؛ فأنا أنسى كثيرا هذه الأيام، شعرت بلمسة على كتفها، فالتفتت لتجدها ليلى الممرضة ترفع حاجبا وتنزل الآخر في مهارة شديدة:

لِمَ لا نخرج قليلا يا وصال؟

قالت: نعم، فقد سئمت من هذه الغرفة الرتيبة، ورائحة المعقمات الكريهة التي التصقت بملابسي..

قالت وهي تبتسم: تمهلي؛ ستأخذين هذه المسكنات ونذهب..

قالت: حسنا، هيا بنا..

سارت بخطوات ضعيفة في ممر المستشفى الطويل الذي كانت تحيطه غرف كبيرة بيضاء على الجانبين، إضافة إلى الزهور البلاستيكية في مدخله، وجلست تحت ظل شجرة، انعكس ظلها على كرسي خشبي عتيق، انتبهت لهذا الرجل وهو يقترب منها، هو رجل قد تجاوز الخمسين من عمره تقريبا، أبيض البشرة متوسط القامة قوي البنية، على رأسه شعر أبيض، على الرغم من كبر سنه إلا أن شعره ناعم، وجهه كان يميل إلى الصُّفرة، ولديه شارب ضخم يعلو شفتيه الحمراوتين، ومع ذلك كان هذا الوجه به شيءٌ غريبٌ، وكان يرتدي لباسا أنيقا، لكن الناظر من بعيد يظن أنه مهترئ، وفي

يده اليسرى خاتم به قطعة من الألماس بالإضافة إلى مدونة صغيرة مرسومٌ عليها صورة أحد ما وقلم معلق بها..

قال بنظرة متفحصة: كيف حالك يا وصال؟

رفعت حاجبيها وقالت: هل تعرفني؟

قال مبتسمًا: نعم، أعرفكِ..

قالت والحيرة تظهر على ملامحها: لكن كيف وأنا أراكَ للمرة الأولى!

قال بسخرية: أنا أعرف جميع الناس هنا، ولكنهم جميعا لا يعرفونني إطلاقا. وعندما نظرت إلى عينيكِ وجدتهما تحملان كثيرا وكثيرا؛ فلِمَ لا تبوحي بما حدث معكِ؟ يمكنني المساعدة..

نظرت إليه في دهشة وقالت: أنا لا أريد أن أحكيَ مع أحد..

قال وهو يمسك بقداحته ليشعل سيجارته البنية:

أنا أجلس هنا يوميا، سأنتظرك، وأعلم أنك ستأتين..

قالت بعدما انزاح القلق قليلًا:

أليست السجائر بها ضرر على صحتك وأنت بهذا السن؟

قال وهو ينفث دخان سيجارته: كثيرٌ منا يعرف أن هناك أشياء الاقتراب منها هو خطر في حد ذاته، لكننا نخوض التجربة لا أكثر ولا أقل، نحن نعلم أن نهايتها ستدمرنا، لكننا نتمسك ونغوص بداخل هذه التجربة،

ونشعر أن هذه الأشياء لن تصيبنا بأي أذى، وأنها قد أحبتنا وتعودت على وجودنا بجانبها، ثم نكتشف شيئا فشيئا أننا نهلك بالبطيء، ونلقي اللوم على اختياراتنا، ولكن للحق، فالاختيار الخاطئ داخلنا فقط.

قالت: كلامك صحيح، لكننا نرى من يستحقون الاقتراب منهم، ويمكن أن يكون الاقتراب الظاهري خادعا، وأننا لا نرى السيء منهم إلا بعد فوات الأوان، وأننا لا نعرف أين الخطأ. أهم جيدون أم أننا سيئون!!

قال بلهجة حكيمة: الحقيقة أن الخطأ يكمن داخلنا فقط!

قالت في شيء من الدهشة: داخلنا؟

قال وهو يبتسم: نعم، داخلنا، نحن من نختار هذا الخطأ، ثم نعود لنلقي اللوم على اختياراتنا. الحقيقة أننا من نختار هؤلاء الأشخاص لدخول حياتنا، نحن من نجعلهم يقتربون للغاية، يعبثون بنا كيفما يشاءون، ثم يذهبون ونعود كالضعفاء؛ نتمسك بأي شيء لإلقاء اللوم عليه فقط!!

قالت متسائلة: وكيف أعرف أن هذا الشخص خطأ؟

قال: المشكلة هُنا ليست في الشخص الخطأ، لا، بل عكس ذلك، تكمُن المُشكلة في أن أخطاء هذا الشخص تظهر تدريجيًّا، على عكس ما كنا نظن في البداية، ونحن بعاطفتنا الغبية نقوم بإصلاح هذا الخطأ، ونستكمل ما بدأناه؛ يُخطئ ونُصلح، يُخطئ ونُصلح، إلى أن يتمادى في ذلك، ويظن أننا

لن نستطيع التخلي عنه مهما حدث، ومهما بلغت أخطاؤه، ثم يحدث ما قد يفاجئه؛ أننا تخلينا عنه حتى لو كان هذا الخطأ يمكن القول أنه تافه للغاية! هل تركناه لتفاهة الخطأ؟ لا، لم نتركه لذلك، بل من كثرة أخطائه، أصبح الفؤاد باردًا وجافًا، والتخلي لا يشكِّل فرقًا هُنا!!

ساورها شيء من الارتباك، كأنه وضع يده على شيء معين حاولت كثيرًا أن تنساه، وقد لاحظ الشيخ ارتيابها، وقبل أن يتفوه بكلمة أخرى..

قطع حبل الحديث صوت ليلى من بعيد وهي تقول:

يكفي هذا اليوم، هيا بنا إلى الداخل..

قال وهو يمسك كرسيه: إلى اللقاء. إذا أردتِ أن تتحدثي، قد أصبحتِ الآن تعلمين مكان تواجدي..

قال كلماته الأخيرة وغادر، وجاءت ليلى لتأخذها إلى الداخل، وظلا يسيران في الممر حتى دخلا الغرفة، وما أن اعتدلت على فراشها، حتى بدأت تفكر بهذا الرجل.. وهمست قائلة: أتعرفين هذا الرجل؟!

قالت: أي رجل؟

قالت: صاحب الكرسي المتحرك هذا..

قالت: نعم، اسمه الأستاذ حسين

قالت متسائلة: وما الذي يعاني منه هذا الرجل؟

قالت: يعاني من مرض عقلي، ومُصاب أيضا بسرطان في الدم، ولكنه رافض العلاج..

رمتها بنظرة حائرة: ماذا! أهو مجنون! ولماذا يرفض؟!

قالت: نعم، وهو هنا منذ سبعِ سنوات تقريبا، ورفض لأن زوجته ماتت بالمرض نفسه، ويريد أن يظل أثرًا منها داخله!!

لم تصدق ما سمعته وقالت: لا يمكن أن يكون هذا الرجل مجنونا؛ فحديثه عاقل للغاية، أشعر أني أعرف هذا الرجل، أو قد قابلته من قبل، لِمَ اختار الحديث معي أنا؟

قالت: ماذا؟ تحدث معك؟ أتعلمين أن هذا الرجل لم يتحدث إلى أحد منذ سنوات بعد أن توفيت زوجته؟

نظرت وصال في حيرة، وظلت تفكر، حتى استبد بها نعاس ثقيل، وغطت في إغماءة طويلة..

***

تفتح جفنيها في استكانة شديدة، وتجد نفسها في مكانٍ غريب لا تعرفه، تقف مذهولة في منتصف طريق متسائلة أين أنا؟ ولِمَ أنا هنا؟! مدَّت يديها لتزيل حبات العرق المتلألئة فوق جبينها الوردي، سارت بخطوات مندهشة تعاني من حيرة أليمة، تسيطر على جسدها، ساقاها كانتا تصطكان من الخوف الشديد الذي اجتاح صدرها، صداع نصفي يلازمها، وأَلَمٌ به دوار، وتحاول أن تنظِّم أنفاسها التي احتجزت في حلقها، وقفت ثابتة مكانها عندما سمعت هذا الصوت يناديها من بعيد، تعرف هذا الصوت جيدا، تستطيع أن تميزه من بين ألوف الأصوات، يظل الصوت يقترب رويدا رويدا، ترجع بخطوات متقهقرة إلى الوراء، إنه هو، نعم نعم، هو..

اقترب صاحب الصوت وأصبح على بعد خطوة منها وقال: وصال!

وضعت يديها على عينيها حتى لا تراه، فقال مرة أخرى:

ألا تريدين أن تريني؟

قالت والدموع تنهمر من عينيها:

ابتعد عني! دعني أذهب، لا أريد أن أَرى وجهكَ..

همس يقول: لكنني أُريد أن أراكِ؛ لقد اشتقت لكِ كثيرًا، أعلم أنه ليس من حقي قَوْلُ هذا، لكني سأقوله..

حاولت أن تتماسك بعد سماع هذه الكلمات، ولكن دموعها كانت أقوى من تماسكها، واستكمل الصوت:

أعلم أنني لا أستطيع أن أطلب منكِ الغفران، لكنني عوقبت بما فاق طاقتي يا وصال، لقد أصبحت شخصًا آخر أقسم لكِ..

قالت وهي تمسح دموعها:

غفران؟ أتدخل حياتي وتدمر كل ما فيها، بل تدمر سعادتي، وتقول غفران؟! قد تكون الغفران كلمة سهلة بالنسبة لك، لكن بالنسبة لي، فهو شيء بَشِعٌ يقوم بقتلك، ثم بعد ذلك يمزقك من الداخل ويذهب، ويأتي صاحبه بكل هدوء يقول لي: أريد الغفران! قل لي: أيُّ غفران تتحدث عنه؟ أي غفران تريد؟ لِمَ أجدُ كل هذه البراءة في ملامحك وكأنك مظلوم أو ما شابه؟!! لقد خذلتني! دمَّرتني!! أخذت مني سعادتي، وتركت لي الحزن فقط! وتطلب مني الغفران وكأنك لم تفعل شيئًا؟ لا أُنكر أنني كنت أنتظر عودتك، ولا أنكر أنني ما زلت أحبك، لكنني سأكمل حياتي بدوني؛ فقد أخذت مني نفسي، وأصبحت أحيا بدونها.. فكل علاقة مؤلمة تفقد بها نفسك وتحيا بدونها..

قال بنبرة يظهر منها الحُزن:

- أعقوبة المُخطئ عدم التسامح؟

قالت: أنت لست بمُخطئ فقط، أنت كاسرٌ فؤادي أيضًا، أليس هذا بخطأ يستحق الإعدام؟

قال وهو يترجاها:

أرجوكِ يا وصال، أعترف بخطئي، ولكن سامحيني حتى أبتعد عن أحلامكِ على أقل تقدير..

قالت وهي تضحك بحزن: لن أُسامحكَ طوال حياتي!!

***

أيقظها رنين هاتفها النقال بشهقات متتالية، كان عقرب الساعة قد وصل إلى الثانية صباحا، تناولت الهاتف وأغلقت رنينه المزعج دون أن تنظر إلى المتصل، جلست على طرف الفراش تأخذ أنفاسها بهدوء بعد رؤيتها هذا الكابوس الصاعق، حملتها قدماها وذهبت بها إلى النافذة، وقامت بفتحها قليلا ليداعب الهواء خصلات شعرها في دلال، تنظر إلى الأفق وتلمح بطرف عينها هذه النجمة الساطعة المشعة الوحيدة في هذه السماء الواسعة:

أبي، أبي، انظر إلى هذه النجمة الصفراء في السماء..

قال: أيَّة نجمة يا عزيزتي..

قالت وهي تشير: هذه التي تلمع هناك وحدها..

قال: أريد منكِ شيئا يا صغيرتي، عندما تشعرين بغيابي، انظري إلى السماء؛ ستجدينني هناك، لكن إن اختفيت، فهذا يدل على أنني حزين..

قالت وهي تبتسم: ولِمَ ستحزن يا أبي؟

قال: سأحزن عليكِ فقط يا ابنتي..

قالت بصوت طفولي رقيق: السماء مليئة بالنجوم يا أبي، فكيف أعرفك من بينها؟

قال: ستشعرين بي يا حبيبتي، سيرتاح قلبك لنجمة ما، ستجديها مختلفة عن غيرها من النجوم، فتيقني أنها أنا، وقد جئتكِ لأني افتقدتكِ كثيرًا..

قالت وهي تحتضن كفَّه: سأنتظرك دائما يا أبي..

تعود إلى فراشها، وتمد يدها بجانبها إلى درج الكومدينو، لتخرج منه مدونة صغيرة مرسوم على جلدها وردة حمراء، ومعلقٌ بها قلم كان يستخدمه أباها، وقد أهداها إليها، وهي هدية قيمة محببة إليه، وأخذت تقبلها كثيرًا إلى أن لامست دموعها تلك المدونة معبرة عن مدى حبها لأبيها الذي فقدته، ثم أخذت تغمغم مع نفسها:

-كم أشتاق إليك يا أبي، أشتاق إلى سماع صوتك الحنون، وقبلتك الحارة على جبيني كل صباح، أشتاق إلى الشيكولاتة التي كنت أجدها تحت وسادتي عندما أستيقظ دائما، أشتاق إلى لمستك، إلى رائحتك، إلى ابتسامتك، تأتي تبين ملامحك الطيبة وعيونك السوداء التي كانت تتغير بتغير فصول المناخ، كل شيء بك يا أبي أتذكره، عندما كنت تأتي من عملك متأخرًا وتجدني أنتظرك، لأنني لا أستطيع أن أنام وأنت لست بالبيت، حينها كنت تجثو على ركبتيك وتفتح ذراعيك لتضمني ضمة قوية أشعر أني أستمد طاقتي منها، أتتذكر يا أبي عندما كنت أمرض؟ كنت أرى في ملامح وجهك الضعف، لكنك كنت تخفيها حتى لا أشعر بالخوف، أعلم أنك تسمعني وتشعر بي، وأنا أشعر بوجودك يا أبي.. أشعر أني مشتتة، غير مدركة، لا أعي ما يحدث أو ما يدور حولي، اعلم يا أبي أنني أحارب، أحارب فقط كي أحيا، أحيا حياة قاتلة مميتة لا يوجد بها سوى الحزن، لا أمل في الخروج منها، علمتني يا أبي أن أكون قوية صلبة، وألا أنحني ولا أضعف، ولا ألتفت لمن غادر حياتي، ولا أحزن على من تركني ورحل دون عودة، ولا أترك بقايا كلمات تظل محفورة بالذاكرة، علمتني الشجاعة، شجاعة المغامرة، الاختيار، المغادرة، الأمل، القوة، لكنني لم أعد أملك القدرة على التمثيل أكثر من ذلك، فأنا هشة للغاية من الداخل، وقلبي ضعيف لا

يحتمل الكسر والألم، ولم تعد روحي تقوى على هذا الانطفاء والتمسك بأفكار تخترقني طول الوقت، لكني لم أستسلم لأي شيء، للألم وللكسر وللأفكار وللذكريات، لم أستستلم يوما، علمتني يا أبي عدم الاستسلام، علمتني ألا أسقط وأن أنهض، فأنا ابنتك القوية..

تقف تحت قطرات الماء، وتحاول أن توقظ روحها الحزينة بأطراف أصابعها، أن تُنهِيَ الألم عند زيارة الماء جسدها، فقط تضع يديها على عينيها، وتشعر أنها في الأعماق؛ تسقط وتسقط دون مقاومة، تؤلمها الغصة التي توجد في قلبها، تستدعي ذكرياتها المتلاطمة، تحملها بكِلْتَيْ يديها حتى لا تشتعل في عقلها، وضعت رأسها في قلب مرآة الحمام، واستكانت واستسلمت لكل شيء. وتسأل نفسها:

لماذا صمتت؟ لماذا لم أنسحب عندما شعرت أن هناك من فتح جُرحًا بقلبي لا يتوقف نزيفه؟ لماذا صبرت واحتملت كل هذه المواقف والصفعات الواحدة تلو الأخرى؟ لماذا لم أنسحب في وقت لزم فيه الانسحاب؟! لماذا وقفت وابتسمت وكأن شيئا لم يكن على الرغم من الهلاك الذي يحدث داخلي؟! كيف سأحيا ما تبقى من العمر وأنا هكذا؟ أشعر أني بلغت من العمر أرذله! أشعر بالألم يفتتني من الداخل!! أشعر!! أشعر بماذا؟!

لم أعد أشعر بشيء من الأساس! لم تعد لدي القدرة على التحمل! لم تعد هناك طاقة للاحتمال!

أحست بصداع لعين يفتت عقلها، ضغطت على رأسها كي يتوقف، لم تعد تستطيع تحمله، ولا تحملها قدماها، فتتمسك بالباب بجانبها، ويخفت صوتها ويبهت لونها ويصفر، وتنخفض أنفاسها تدريجيا، تسري في جسدها رعدة عصبية أخذت تجثم على صدرها وتقبض قلبها وتخنقه خنقا، لا تعرف كيف تتخلص من تلك النازلة التي ألمت بها وهذا الحزن الذي عصف قلبها، فتنظر إلى المرآة بعيون دائرية حمراء، والدموع تتصارع إلى النزول في مقلتيها، لم تستطع أن تسيطر على اتزانها وارتمت واصطدمت رأسها بالأرض..

***

اللحظات الأولى من ولادة النهار..

غزل الفجر خيوط الضوء، وطرح الصباح ثوب الليل القديم، وارتدى ثوب النقاء الجديد بعد عتمة الظلام القاسية، وبثَّ أنفاسه بنسمات تنفث في الروح أملا جديدا، وترسل الشمس خيوطها الذهبية لتلقي بظلالها على الكون، فتنعكس أشعتها الدافئة على الجدران، وزقزقة العصافير التي تخرج للأفق شيئا فشيئا، تتطاير نسمات الهواء هنا وهناك، ورائحة القهوة الرائعة التي تجذب حاسة الشم، وتعطي إحساسًا لا مثيل له، وشذا الأزهار الذي قد فاح برائحته الطيبة وأصبح يتناغم مع أوراق الشجر، ومسامع الحياة التي بدأت بالظهور؛ شكَّل هذا لحنًا بديعًا، ولحظات من النقاء والهدوء.

وضعت يديها على رأسها، شعرت بألم رهيب يخترقها في المنتصف، ولا تتذكر ما حدث. ليلة أمس، وقبل أن تفتح عينيها لتجول بين أجهزتها الرتيبة، شعرت بمن يمسك يديها ويربت عليها في حنان، فتحت عينيها باستكانة بالغة، وضوء الغرفة يومض بقوة، فتنظر بجانبها لتجد جدتها ترمقها بنظرات قلق ودموع غزيرة تزين وجنتيها، تعتدل في سريرها

وتترنح، تحاول جاهدة أن تظهر أنها متزنة وبخير، ويسود الاضطراب المكان، فصاحت بها جدتها قائلة في حزن شديد:

ماذا بكِ يا ابنتي؟ ماذا يحدث لكِ؟ هيا اخبريني! من أجل الله اخبريني!

قالت بابتسامة جانبية مريرة:

لا تقلقي يا جدتي، أنا بخير، لكن ماذا حدث؟

قالت: وجدناكِ ملقاة على الأرض، ولكن الله أرسل الدكتور ياسين قبل فوات الأوان، وقال إنه سيمر ليطمئن عليكِ..

وأخذت تبكي بكاءً شديدًا، حاولت أن تمد يدها لتربت على كتف جدتها حتى تهدأ من روعها وتطمئنها أنها بخير، لكنها فشلت..

وقالت والدموع تجتمع من جديد:

اهدئي اهدئي يا جدتي، أنا بخير أقسم لكِ..

قالت بنبرة حزينة: أرجوكِ أن تعيدي لي ابنتي أرجوكِ..

قالت بعين حزينة: سأعود يا جدتي، أعدكِ بذلك..

انتهت من حديثها مع جدتها، وقامت من الفراش تتكئ على جسدها المتهالك، وتتحرك بوهن شديد، ومضت قدماها بخطوات متهادية إلى الشرفة، لتتلملم على الكرسي الكائن في منتصفها، ثم وثبت في حركة

مفاجئة، وأطلقت صراخًا عاليًا دوى رنينه في أروقة المستشفى، كأنها تحاول إخراج كل ما بها من ألم لترتمي مرة أخرى على الكرسي، وتطلق العنان لخيالها الذي ليس لها غيره، وحدثت نفسها وهي فريسة اضطراب عميق ما ينفك يزداد بكلمات تأبى الخروج:

آه آه، رباه! ما أبشع هذا كله! أشعر أن جميع الجروح والأحزان قد تجمعت بي، وكبَّلتني بسلاسل مميتة، نزيف روحي لا يتوقف، وكأن من فتحه نسي أن يغلقه، كم أشعر بسواد تلك الحياة، والغصة في روحي تؤلمني للغاية، لقد سئمت، سئمتُ من كل شيء، سئمت من الحياة، سئمت من العيش، حتى الموت قد سئمت منه، لأنه لا يأتي ليخلصني من كل ذلك!! لماذا يا الله لا تنقذني؟! لماذا تتركني في كل هذا الألم! إن كنت تقوم باختباري فاعلم جيدا أنني فشلت! وفقدت نفسي يا الله!!

بوجنتين باكيتين، ودموع تغلق العينين، دست يدها في جيبها الأيمن، وأخرجت مصحفا ورديًا قد أهداه إليها والدها، وأخذت تقلب فيه ووقع نظرها:

"وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ"

لقد ضاق صدري، وتهالكت أعصابي، ولم تعد هناك طاقة للصبر على هذا الأذى يا الله! لم أعد أتحمل؛ فبلاؤك ثقيل للغاية، أنت تعلم جيدا، لقد تحملت كثيرا وكثيرا، تحمَّلت ما قد يدوي بآلاف الأشخاص، تحملت ما لم يتحمله بشري على وجه هذه الأرض، ساعدني يا الله، التقطني من هذه البئر العمية من الحزن، لم يعد هناك أمل، ساعدني فليس لي غيرك!! أنت تعلم ما يمر بي، تعلم ما يا يحدث داخلي، تعلم كم أشعر بالألم يا الله!! أنت فقط من تعلم!! لا أعرف كيف أتخلص من تلك العاصفة القهرية التي ألمت بي، أو كيفية لملمة مشاعري التي بُعثرت على الأرض في عنف. شعوران مُختلفان يقفان أمامي في آن واحد كادا أن يفتكا بي، ليتني ما أحببت، ولم أعرف طريقا للحب يوما ما، ليتني لم أرَه ولم تدق طبول قلبي ولو دقيقة واحدة، ليتني استكملت طريق الوحدة والاكتفاء بذاتي، ليتني فقط!!

"حتي لو أُغلقت جميع الأبواب، ثق دائما أن هناك أمل"

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"

كنت فتاة مدللة مرفهة موفورة الصحة، لا تبدو عليها مقدمات هذا العذاب أبدا، لم أتوقع تلك الخيبات المتتالية، والهالات القاسية المرسومة حولي، لقد أصبح نبض قلبي يخرج مني ليعتصرني فقط، حياة كاملة من

الجراح وركن صغير من المقاومة والصبر والنور يتربص بي ويحثني، ويحاول أن يبث فِيَ القوة وأن ينسيني هذا الضعف الذي لا أشعر سوى به. أتسمعني يا الله؟! أتسمعني؟ نعم، نعم أنت تسمعني، أتسمع صراخي المكتوم كل ليلة؟ أتسمع ويلات قلبي الواهنة؟ أتسمع استغاثتي المتَّشحة بالحزن؟ أترى تحوُّل قلبي إلى اللون الأسود؟ أترى جفاء ملامحي المصبوغة بالجمود؟ أترى!! أشعر أني أقف في فضاء واسع، في مكان مجهول على حافة مخيفة، لا أستطيع الثبات، ولا أستطيع حتى أن أسقط! قلبي يطير من صدري حزنا، أحاول الاستغاثة، أحاول النهوض.. أحاول فقط. أعلم أنك قريب، وأنك أقرب لي من وريد العبق، أعلم أنك تحتويني كل ليلة، وتمسح دموعي الجافة من وجنتي، وتربت على يديَّ، وتسمعني وتشعر بي جيدا، وتشعر بأنين قلبي، وتعلم أن هذا الألم الحقير قد تمكَّن من قلبي ومن حياتي، وأنا على ثقة أنك ستنقذني، أعلم ذلك..

"احذر الألم؛ فإن تمكن منك أصبحت له الحرية بالتوغل في روحك باحترافية شديدة كيفما يشاء وفي أي وقت"

-أبي، ما الحب؟

نظر إليها مبتسما وقال:

الحب؟ الحب يا ابنتي هو الضعف! هو الشعور بالانسحاب إلى عالم مفُزع لا معالم له، لا يعطي أيَّة إشارة إلى نهاية هذا الطريق، معركة دموية قاسية بين العقل والقلب، والعقل هو القلب والقلب هو العقل، بمعنى أن الاثنين واحد، هل تدركين حجم ما قد يحدث عندما يتصارع القلب مع نفسه! ستكون لحظة الحب هي أصعب ما قد تمرين به في حياتك، وقد يكون أصعب اختبار أو مواجهة ترينها، قد تكونين أقوى امرأة في الكون كله، لكن عندما تطرق بابك نسمات الحب، فلن تستطيع جميع حواجز العالم بأكمله التصدي له، لا أستطيع أن أحذركِ يا صغيرتي، فهو كالضيف الثقيل، يأتي بلا ميعاد ولا توقيت، ولكن إذا دخل قلبك فلا سبيل لكِ بالنجاة!!

قالت غير مدركة:

واذا طرق الباب ودخل، هل سأندم عليه يا أبي؟

قال وهو ينظر بعينيه الواسعتين:

الندم جائز يا ابنتي، لكنه لن يكون من أجل أحد ما، بل سيكون من أجل كل ما بذلتيه من أجله، ويذهب بكل سهولة ويسر، تقومين بالتضحية

بسعادتك تارة، وبنفسك تارة أخرى من أجل هذا الحب المزيف، ستُصْدَمين وستقفين في منتصف الطريق، لا تعلمين ماذا حدث، ستحتاجين إلى وقت حتى تعي ما يحدث من أمور، ستفيقين من صدمتك، وكل لحظة تمر وقتها هي للألم فقط!!

قالت: وهل بعد كل ذاك سأنسى؟

قال وعيناه تلمعان:

تنسَيْن؟ تنسين ماذا؟ مجنون من قال أن من أحب يستطيع أن ينسى!! أراهن أن جميع من أحبوا بصدق إلى الآن، لم يستطع أحد منهم أن ينسى ولو لساعة واحدة فقط! ألم يتذكر الكلمات والأغاني والقهوة والملامح! الذكريات يا ابنتي تشبه الفخ، ما أن تمضي قدما بها، حتى تجيد اصطيادك بإحكام في عالمها المظلم، وتظل محفورة على جدار الروح وتخرج لتؤلمك فقط!

النسيان: هو شعور انسيابي مهدئ، يُبَيِّنُ لك أنك بخير، وأنك استطعت أن تنسى، وتستكمل حياتك بدونهم، وفور أن تراهم أو أن ترى أحد يحمل جزءا من ملامحهم، تعود مسرعا إلى نقطة الصفر وكأن شيئا لم يكن!

قالت باندهاش: إذا كان الحب بهذه القسوة؛ فلِمَ نُحِبُّ جميعنا؟

قال مبتسمًا:

وهل سألتي المريض يومًا لمَ يمرض؟ قسوة الحب في شعوره يا ابنتي، فلا تستطيعين أن تفسري هذا الشعور، أهو شعور بالمشاعر وهي ترفرف عاليا؟ أم شعور بخروجك من غرفتك الدفينة؟ أم شعور بألم بسيط يغزو قلبك؟ أم هو شعور صادق نابع من الداخل!! نحن نحب لأننا بحاجة إلى هذا الحب، بحاجة إلى من يهتم بأدق تفاصيلنا الصغيرة التي لا تأتي على ذهن أحد، نحن نحتاج إلى من يرعانا، ويرعى شعورنا بالحزن والألم، نحتاج إلى من نصبح لديه أول وآخر اهتماماته، نريد من يشعر أن سعادتنا هي الكون بأكمله بالنسبة له، إلى من يبحث عنا في الكرة الأرضية إن غِبْنَا ولو لثوانٍ معدودة! نصبح معه غير مقيدين بشيء، لا شيء سوى شعور بالجنون مختلط بشعور الحب، مصاحبا لشعور بالانبهار، مرورا بأن الحياة أصبحت حياة!

قالت مستفسرة: كيف أعرف أنه أصابني؟

قال وهو يحتضن كفها: نعم يا ابنتي، هو كالمرض، إذا أصابك فسيلازمك طويلا، ستعرفين يا ابنتي، وحدك ستعرفين، وليس المهم في كيفية إصابته، ولكن الأهم هو كيفية التعامل معه، وهذا ما يفتقده جميع من يقعون فيه. الحب هو أبسط مما يتخيل بعضٌ منا؛ فهو شعور بسيط خفيف على القلب

مثير للشغف، يحيط بكِ في دائرته، ويبث سمه في كل أنحاء جسدك بكل سهولة.

أغلقت المصحف في هدوء، وقبَّلَته قبلة طويلة كأنها تشكر والدها لإعطائها هذا المصحف، وتذكرت كلماته حينما قال:

"ستجدين حلول جميع آلامك هنا"

تنظر أمامها إلى حديقة المستشفى، فوجدت ذاك الرجل يجلس مرة أخرى هناك حدق في عينيها بنظرات نارية، كأنما يستهدف عدوا أمامه، وأشاحت بنظرها بعيدا عنه، ونظرت إلى ساعة الحائط القديمة المعلقة، تراقب عقربا الدقائق والثواني، شعرت بلمسة على كتفها، التفتت شاهقة كأنما لدغتها حية، فوجدت ليلى الممرضة أحضرت لها الفطور وقالت:

-بماذا تفكرين؟

-لا شيء..

-حسنا، هذا فطورك، وبعد قليل سآتي لأعطيكِ دواءك..

-شكرا لكِ يا ليلى..

-لا يا عزيزتي، لا تشكريني؛ فأنتِ مثل ابنتي..

-ألديك أبناء؟

-نعم، لست عزباء يا فتاة، لديَّ أبنة مثلك تماما..

قالت متسائلة: أين هي؟

بنظرة حزينة ونفسٍ متألمة قالت: لقد ماتت..

قالت وصال بنبرة حزينة: أنا آسفة؛ لم أقصد..

قالت مبتسمة: لا عليكِ يا حبيبتي، أنتِ مثل ابنتي أيضا..

وأخذت باب الغرفة في يدها وغادرت، وقامت وصال من مجلسها تجر قدميها لتفتح النافذة، وهي تضمها بين كفي يديها تنظر إلى أشعة الشمس الحارقة، وهي تلقي بكامل أشعتها. أصدر هاتفها الأسود الذي يدل سواده على ما يكمن بداخله أنينا مكتوما، مدَّت أناملها لتتناوله لتجد بعض الرسائل على شاشته من صديقها عمر، تعلم أن لا أحد غيره سيسأل عنها، ولكنها لم تخبره بما يحدث معها، تلمح بطرف عينها رسائل أخرى قديمة مكتوبة باسم "روح"، وتذكرت حديثها معه في أحد المقاهي:

ماذا تخبئين في هاتين العينين الواسعتين ذات الجمال الجذاب؟

ابتسمت فظهر حزن ملامحها وقالت: لا شيء..

همس في هدوء ممسكا يدها: هيا اخبريني، لا أحب أن أرى وجهك حزينًا! لكن على أية حال، أنت جميلة في جميع حالاتك..

قالت وعيناها تقتاد شرارًا وتكتظ غيظها:

من تلك الفتاة التي تحدثت معها ووقفت بجانبك!!

ضحك بصوت عالٍ حتى لاحظ جميع الناس ذلك، وحاول أن يتكلم بجدية: أية فتاة؟

باغتته بضربة على قدمه جعله هذا يكثر من الضحك فقال:

أوجعتني يا فتاة.. أأميرتي الصغيرة تغار؟

ابتسمت رغما عنها وقالت:

أغار على من؟ لا أغار، لكن هذا لا يُقبل..

قال: لا، بل تغارين، ألم تري وجهك كيف يبدو وتظهر عليه علامات الغيرة النسائية؟

قالت وملامح وجهها تتغير غضبا: لِمَ تغيِّر حديثنا!!

ضحك ثانية فوكزته في كتفه وقال:

أتقصدين الفتاة ذات الرداء الأسود والشعر القصير؟

قالت في ضجر: نعم هي، من تكون السنيورة؟

ضحك مرة أخرى وقال: لن أقول لكِ..

فازدادت غيظا وصاحت غضبا: أأحمق أنت؟

قال: لا، أنت الحمقاء؛ لأن تلك الفتاة أختي..

تراجعت قليلا إلى الوراء، واحمرت وجنتاها خجلا، ومدت يديها تُرجع خصلات شعرها إلى الوراء وقالت: أحمق..

فضحك هذه المرة أكثر وقال:

لا عليك، سامحتك هذه المرة.. أحبك بكل ما أملك من مشاعر..

انسحبت الدماء من عروقها، وارتجفت أصابعها، وضغطت على قلبها بقوة، وتدق بقدميها الأرض في عنف، حبَّات العرق تتزاحم إلى النزول من جبينها، تضغط بيديها على قدميها، وتشعر بألم في رأسها، تبتلع ريقها بصعوبة، تعرف أن جدتها دخلت، وقد بدأت تنظر إليها وتحاول أن تهدأ وتكون طبيعية حتى لا تلاحظ شيئا، تنظم أنفاسها وتمد يدها إلى مفتاح النور، تلقي ذكرياتها على الأريكة الجلدية البيضاء وتجلس عليها، تمتد أطرافها لتتناول فطورها، لا تريد أن تأكل لكنها تخشى على حزن جدتها، تحاول مضغ الطعام بقوة، لكنها لا تستطيع، فتقوم ببلعه فور إدخاله فمها، تسمع طرقات الباب، وفتح مزلاجه فكان الطبيب ياسين، فقال:

-صباح الخير..

ردت الجدة وقالت: صباح الخير أيها الطبيب..

قال وهو ينظر إلى وصال: كيف حالكِ اليوم؟

لم تتحدث وصال، وردت الجدة وقالت: إنها بخير اليوم الحمد لله..

أشار بيده للجدة؛ لتترك المساحة لوصال لتتحدث..

فقال محدثا إياها: أملتزمة بالدواء يا وصال؟

نظرت إلى وجنته التي وشمتها شمس الصباح وقالت: نعم..

قال متعمدًا النظر إلى عينيها: وهل تشعرين بتحسن؟

قالت ببرود: قليلا..

قال وهو يهم بالانصراف:

حسنا، لن أطيل عليكِ، سأذهب الآن وسآتي كل فترة لأطمئن عليكِ، لكن قبل ذهابي سأقول لكِ شيئا: حاولي أن تبتعدي عن ذكرياتكِ ولو قليلا..

نظرت إليه بحيرة بالغة ولم ترد، وردت الجدة وقالت:

شكرا لك أيها الطبيب..

وغادر وتركت كلماته أملًا في نفس وصال لم تذقه منذ فترة كبيرة، كأنما دخل صوته قلبها وفتح جميع منافذه، لكنها نفضت عن رأسها هذا الشعور، وقامت وسارت بخطوات متهادية إلى الحمام، وقفت أمام المرآة، تنظر إلى ملامحها التي بَهَتَ لونها، تلتقط بعض قطرات الماء وتعتلي وجهها، وتترك لها الحرية في التصرف، التقطت المنشفة وأزاحت ما بها من ماء، وذهبت إلى الشرفة، داعبت خصلات شعرها بعض نسمات الهواء، وتسندت بساعديها على السور، وسمعت صوتا يأتي من بعيد، كان لأم كلثوم وهي تقول:

أنا مانسيتش الحب وعهده ولا أيامه ولا لياليه..

أما إن كان على الحب لوحده من غير هجرك أهلا بيه..

أنا حيرني هواك وأنا علشان أنساك..

ببعد عن كل مكان روحته ولو مرة معاك..

وأهرب من أقرب ناس يعرفوا قصتي وياك..

وبغير أي كلام بيجيب سيرة لذكراك..

وصلتني للحال ده بإيدك بعد ما كانت روحي في إيدك..

سبتك ومافيش حد في عمري يشغل عنك قلبي وفكري..

سبتك من غير حتى ما أفكر حقدر أسيبك أو مش حقدر..

غدرك بيا.. أثر فيا.. واتغيرت شوية شوية.. اتغيرت ومش بإيديا..

وبديت أطوي حنيني إليك وأكره ضعفي وصبري عليك..

واخترت أبعد.. وعرفت أعند حتى الهجر قدرت عليه..

شوف القسوة بتعمل ايه..

اسأل روحك .. اسأل قلبك قبل ده كله اتغيروا ليه..

أنا غيرني عذابي في حبك لكن أنت غيرك ايه..

هو حناني عليك قسَّاك حتى عليا.. ولا رضايا كمان خلاك تلعب بيا..

ولا تَسَامُح روحي معاك غرك بيا.. أنا يا حبيبي صحيح بتسامح..

استمعت إلى الأغنية وكأنها قد أتت في وقتها تماما، ذهبت بعيدا بخيالها هذه الأغنية المفضلة لديها، كيف يعرف هذا الرجل أنها تحبها، أخذت ترمق المكان بنظرات فاحصة، فلمحت بطرف عينيها كرسيه المتحرك الأسود اللون ساقط على الأرض بجانب الشجرة، وبقايا الراديو القديم ملقاة بجانبه، ولكنه يعمل ورأت الرجل بجانب الكرسي متمدد على الأرض وعيناه مفتوحتان على آخرهما، ويخرج دما غزيرا من فمه ويرتجف من رأسه حتى أخمص قدمه، فتراجعت خطواتها إلى الوراء، وأُلْجِمَ لسانها من الصدمة وأصابها الذعر، وانتابتها القشعريرة وتهاوت من على الكرسي وصاحت بصوتها عاليا..

***

أنستطيع أن ننساهم؟ أم أننا نتوهم بذلك؟

أم نضحك على أنفسنا فقط!

كيف نشتاق بعد كل هذا الهلاك؟

كيف ما زلنا نتذكرهم على الرغم من كل ما فعلوه؟

القلب ملعون إلى هذه الدرجة؟

أم أننا وصلنا لمرحلة من الطيبة الغبية؟

ماذا نفعل بأنفسنا؟

لمَ دائما نختار وننحاز لمن يدمرنا؟

لمَ ننحاز لمن يستهون بقتل شعورنا؟!!

لمَ نختار دائما الجانب المظلم من الحزن؟

لمَ يراودنا الإحساس بأن هذا الحزن قد خلق لنا فقط؟!!

لسنا سيئين لتلك الدرجة، لسنا سيئين!

"ما يهواه القلب دائما لا يحصل عليه"

ليلة رأس السنة..

الساعة ٣٠ : ١١

أسدل الليل ستائره السوداء مُعلنة عن وصول الظلام، فأردأ الشمس إلى مضجعها هاربة لتختبئ. تنفَّس الظلام عتمة، فأطلق شهيقًا فخرَّت أنسجته على الكون قاعدة، تكونت السُحب هُنا وهُناك بين النجوم، أقسمت ألا تفارقها مهما حدث، ونصف القمر ينازعهما على التواجد ويأخذ مكانهُ ليضيء بنوره قلوب العاشقين.. "دائما ما يكون الليل ثقيلا على الفؤاد بما يحمله من ذكريات قاسية."

كانت نسائم الهواء هذه الليلة تندس بين الضلوع، وتداعب جميع الأفئدة، مُقسِمَةً ألا تذهب إلا بكشف أوراق الذكريات أمامك لاختيار الأبشع منها، لم تكتفِ بذلك، بل تخللت خصلاته شعره وهو جالس على تلك الطاولة المُزينة أطرافها، مُنتظرًا ليرى أي أحد يعرفهُ في هذا الصخب، المكان مُزدحم بالناس، والأصوات تتعالى هُنا وهُناك، أصوات الموسيقى الصاخبة التي تلوث الأذن فقط، يسأل نفسه لماذا جئت إلى هُنا، ليست من عاداتي أن آتي هذه الحفلات ولا الاختلاط بأحد. ينتبه للحظات، صديقه

خالد هُناك، لم يره منذ أكثر من سنة، وما إن اقترب حتى هب واقفًا واحتضنه وقال خالد:

-ياسين؟ أين أنت يا رجُل؟ لم أرك مُنذ سنة التخرج!

رد ياسين مازحًا: أنا هُنا، لم أتغير ولم يتغير مكان منزلي ولا هاتفي..

قال خالد: أفتقُدك يا صديقي كثيرًا، وأفتقد أكثر كلامك الحكيم..

قال: وأنا أيضًا أفتقدك..

وسأله: هل تم تعيينك؟

قال ياسين ناكرًا: لا، ليس بعد، لقد سافرت إلى أنحاء مصر، ولكن كما تعلم، فالشباب حديثي التخرج لا يتم تعيينهم أبدًا..

رد خالد: لا عليك، المُهم أنك بخير..

قال ياسين: ماذا تفعل في حياتك؟

أجاب خالد: لا شيء يُذكر، لا شيء جديد، لا عمل، لا وظيفة، لا أمل، الجلوس في المنزل أغلب الوقت هو ما أفعله..

باغته ياسين بسؤال: وكيف حال تلك الفتاة التي حدثتني عنها؟

نظر إليه خالد نظرة تحمل معانٍ كثيرة وقال:

لقد انفصلنا مُنذ شهر تقريبًا، ولا أريد التحدُث عن الأمر..

رد ياسين مُهدأً الحوار: أعتذر يا صديقي، لم أقصد..

قال خالد: لا عليك.. سأذهب لدقائق ثم أُرافقك..

رد ياسين مُستشعرًا أنه ذكَّرهُ بشيء مؤلم: حسنًا أنا في انتظارك..

المكان يزدحم أكثر فأكثر، يصيح جميع الحاضرين هُنا وهُناك، وكانوا طبقات غريبة؛ فُهناك من يرتدي الفساتين القصيرة، وهُناك من يرتدي الطويل المُبالغ فيه الذي لا يليق بحفلة صاخبة كهذه، وتارة أخرى من يرتدي بدلة أنيقة كأن حفل زفافه اليوم.

وقع نظر ياسين على فتاة جالسة على بُعد أربعين مترًا أمامه، لفت انتباهه جلوسها وحيدة بعيدة عنهم جميعًا، وملابسها المنتقاة بعناية شديدة، تشابك يديها كأنها في حالة صراع مع نفسها، وثب واقفًا ليُفسح مجال الرؤية قليلا، ليتفرسها عن قُرب، كانت الفتاة تنظر إلى أصدقائها بعينيها الواسعتين وبهدوء وجهها اللافت، حدث نفسه قائلًا:

من هذه؟ ما أجملها!! أهدوءها الثقيل المُفعم بالإثارة أم هدوء عينيها ووسعهما جعلني أقف لأراها؟ أنا عاشق للعيون الواسعة دائمًا!! أأذهب لأجلس أمامها مُباشرة؟ أم أنتظر بعد الحفلة لأعرف من تلك؟ لا أعلم..

شعر بلمسة على كتفه فالتفت..

- ياسين؟ لِمَ تقف هُنا؟ لقد بحثتُ عنك..

رد: أعتذر لقد مللتُ الجلوس فقط؛ فجررت قدميَّ لأتمشى قليلًا..

قال خالد: لا مُشكلة، هيا بنا نجلس هُنا..

ذهبا وجلسا مع بعض الأصدقاء، حاول أن ينشغل بالحفل قليلًا، ولكن كل ما جال في ذهن ياسين في هذا التوقيت أن يعرف هذه الفتاة، ظل يجول ببصره ناحيتها، وكانت أقرب هذه المرة، أخذ يتفحصها عدة مرات مُرتابًا كقطة تحاول خطف طعامٍ، ودون النظر إليها هَمَّ من مجلسه واقفًا، لم يشعر بخطوات قدميه وهي تجره إليها، ظل يقترب ويقترب إلى أن وقف أمامها وجذب الكرسي بجانبها، وجلس..

كانت في مُقتبل العُمر، مُعتدلة القوام، جميلة جدًا، يعتلي وجهها غيمة من الهدوء الممتزج بالجمال الكلاسيكي المُميز، بشرتها بيضاء، قد تشعر أنها وردية اللون، عيناها واسعتان كوسع بحر تملؤه الأمواج لونهما أخضر، فضلًا عن وجنتيها الحمراوتين، من ينظر لهما تأتيه الرغبة في الالتهام، تتصارع خصيلات شعرها، وتتطاير بفعل الرياح، وثوبها الأبيض كبياض القمر، المزدان بتخاريم سوداء قد انتثرت حول الكُرسي، ويخرج منها رائحة عطرٍ من يستنشقه يخر قاعدًا من عذوبته..

نظر إلى عيناها مُباشرة وقال: ما أُمنيتكِ للعام الجديد؟

انتبهت إليه وقالت في تعجب: من أنت؟

أجاب: ليس المهم هُنا من أنا، ولا من أين جئت، المُهم هو أنني جالس هُنا معكِ الآن..

اعتلت الدهشة وجهها وقالت: أنا لا أفهمك، هل تعرفني؟

قال مُبتسمًا: لا، ليس بعد، لكنني لاحظتكِ تجلسين وحيدة بعيدة عن أصدقائكِ، ففكرت في أن أنضم إليكِ..

قالت: لا تعرفني ولا أعرفك، وتقرر فجأة من تلقاء نفسك هكذا أن تجلس معي؟ ألَمَ تفكر للحظة أني من المُمكن أن أذهب من هُنا؟

قال وشفتيه تعلوهما ابتسامة جاذبة: إذا كُنتِ تريدين ذلك من بادئ الأمر لفعلتِ، لكن اعذريني لم أقدر على مقاومة هاتين العينين..

احمرت وجنتاها وقالت: أهكذا إذن؟

قال وهو يضحك: نعم هكذا، لم تجيبيني ما أُمنيتكِ؟

قالت والهواء يدُاعب خصلات شعرها: أُمنيتي؟ اممم.. لا أعرف، ليس لي أمنية مُحددة، وأنا أيضًا لا أؤمن بمثل تلك الترَّهات، لكن من المُمكن أن أتمنى.. ألَّا ينتهي الأمل أبدًا من حياتي..

رد ياسين: أتعلمين أن الأمل هو: الوهم الجوهري لدي الأنسان؟ ولكن في الوقت نفسه هو نقطة قوته!! بمعنى أنه نقطة قوته، ونقطة ضعفه في آن واحد!

قالت مُتعجبة: إذا لم أتمسك بالأمل فماذا أفعل؟!! هل تريد مني أن أموت؟!

قال مازحًا: لا مُشكلة تمسكي بي..

ضحكت فظهرت أسنانها كالبلور اللامع المُنتشي بحمرة الخجل وقالت: تخيَّل معي؛ لا وجود للأمل في هذه الحياة، أو قل هذه المعركة، ماذا يفعل من يُدهس في الطريق؟ ماذا يفعل من يبقى وحيدًا؟ ماذا يفعل من يموت والديه؟ ماذا يفعل هيا أجبني؟!!

رد ياسين: نحنُ من نصنع هذا الأمل، فقد تدهسنا الحياة مرات ومرات وفقًا لكلامكِ، لكننا ننهض مُتمسكين بأمل وهمي قد صنعته مُخيلتنا فقط، لكن لا وجود له! قد يتبخر هذا الأمل ويُصبح لا وجود له، فهل نموت حينها؟ لا، لأننا من صنعناه بأيدينا وليس هو صنع نفسه!! الأمل ما هو إلا جدار نتكئ عليه حينما تهزمنا الحياة مُحفزين أنفسنا أن غدًا أفضل، وأن الخير آتٍ وأننا نستطيع الوصول!!

أجابت: لا مُشكلة، المهم أننا قُمنا بشيء نستطيع أن نُكمل به هذه الدائرة التي نحنُ واقعون بها، تمسكنا بأي شيء نستطيع من خلاله أن نحيا به، حتى لو من صُنع خيالنا!! أم تريد أن نعيش بغير هدف في الحياة نسع وراءه؟

قال ناظرًا إلى هدوئها: جميعنا موتى، جمعينا بلا هدف، بلا رسالة، بلا حياة، نحن نُخدع أُنفسنا فقط!! يخيل لنا أن الحياة عبء وحمل على عاتقنا، والحقيقة أن الحياة هي من تظن أننا عبء عليها!!

"المهم في الحياة هي الحياة ذاتها يا عزيزتي"

الثانية عشر إلا خمس دقائق؛ لم يتبقَّ وقت على قدوم هذا ما يسمى العام الجديد..

قالت: انتظر، تبق هُناك خمس دقائق، لا تستعجل!

فضحك وقال: حسنًا سأصمت..

وقبل أن تدقَّ عقارب الساعة للعام الجديد نظرت إليه وقالت:

اغمض عيناك وتمنَّ..

فأغمض كلاهما عينيهما، وتمنى كل منهما أمنيته للعام الجديد، وانتشرت الفراقيع في السماء، وتعالت أصوات الموسيقى وزاد صياحهم جميعًا، وقال ساخرًا: نحن متواجدون وسط حمقى..

قالت وهي تضحك: إذن نحن منهم؟!

فقال بضحكة عابثة: من الجيد أن أتعرف إليكِ مع بداية هذا العام..

قالت: وأنا أيضًا سعيدة بذلك..

انتبه ياسين لصوتها، فكان صوتا رخيما وطرفا آسرا بدلالاته واكتماله وقال: هل سنتقابل ثانيةً؟

قالت: دع القدر يقوم بعمله ويقرر..

قال: حسنًا. وداعًا.

همست قائلة: لا تقل وداعًا أبدًا؛ فالوداع يقتل أمل اللقاء ثانيةً..

قالت جملتها الأخيرة واختفت عن الأنظار وعن عين ياسين خاصةً، وذهب إلى خالد صديقه ليودعه، واعدًا إياه بلقاء مرة أخرى. وخرج من الحفلة راكبًا سيارته القابعة بالخارج، فتح الباب وانطلق..

بعد ساعة من ركوبه السيارة، وصل إلى المنزل، وصعد إلى غرفته، وأستبدل ملابسه وجلس على فراشه، وفتح درج الكومدينو بجانبه وأخرج ورقة بيضاء وقلما وكتب: إلى هذه الفتاة التي لم أعرف اسمها، إليكِ أكُتب:

***

"كانت عندما تبتسم، تظهر أسنانها كالبلور اللامع يجري فيه الماء، كأنها مُنتشية بخمر الريق بعد أن شربت منه حتى ارتوت.. وهذا الماء نقي، لا شيء مما تعافه النفس قد سقط فيه، وقد تكون من غدران كثيرة هطلت عليها أمطار من سحابة سارية، سقطت على قلبي فأردأته وخر صامتًا لا يتحرك"

وقام بطوي الورقة، ووضعها على اللوحة الخاصة التي يدوِّن بها اللحظات العابرة بجانبه، واعتدل على السرير، وأخذ يتمطى يمينًا ويسارًا، وكانت عينيه مُحتقنتين من شدة النعاس، فاستبد به واستسلم لأحلامه وراح في نوم طويل..

***

الألوان اخْتفتْ منْ حيَاتنا، أقْدارنا مُشتتة في كُل مكان، لم يعُد هُناك مصْدر للسعادةِ، الحُزن! الحُزن فقطْ هوَ منْ يَفرضُ هيمنتهُ هُنا!

يستيقظ كمن لدغه عقرب في صحراء جافة، تتوسطها شمس حارقة تهوي بمن عليها، يمُد أنامله ليتناول هاتفه، لا رسائل، لا مُكالمات، يجلس على طرف فراشه باستكانة، ينظر إلى عقارب الساعة المُعلقة على الحائط بغرفته المُبعثرة، ليجدها أوشكت على بلوغ التاسعة صباحًا، يقف يحاول أن يُسيطر على جسده، يأمر قدميه أن تتجه للحمام ليغتسل، يقف أمام المرآة، ويرفع يده ليسحب بعض المياه ويقذفها إلى وجهه لتداعب مسامه وتتوغل داخل شعيرات ذقنه، ثم يلتقط المنشفة. ويأتي بكوب قهوته ويجر قدميه إلى الشُرفة ويفتحها، يقف داخلها لتقوم الشمس باختراق صباحه عنوة، ينظر إلى الدُنيا بعينيه الواسعتين ويُحدث نفسه:

كل هؤلاء المارة خادعون وكاذبون، كُل منهم يحمل من الألم ما يكفي ليقضي على جبل، ولكنهم على الرغم من ذلك بارعون في الإخفاء، وكل منهم يُجيد دورهُ في التمثيل، هذه الفتاة التي خُدعت من قِبَلِ من أوهمها بالحُب، وهذا الرجل الذي حاربته الدُنيا وهو يسعى هُنا وهُناك، هذا الكهل الذي سئم الحياة مُنتظرا الموت، وهذه المرأة التي تحملت ما يفوق طاقتها، هذا الطفل البريء الذي يستعد الألم للقائه فاتحًا له ذراعيه قائلًا له:

هيا اقبل!! ماذا نحنُ فاعلون !! ماذا أنتِ فاعلة أيتها الحياة!!

كيف يستطيع المرء أن يُخفي ما يؤلمه؟ إنه لشعور مُهلك!

ينتبه لصوت هاتفه النقال، يذهب ليأتي به، ظلَّ يبحث كثيرًا عنه من تراكم هذه الأغراض بغرفته، فتح أحد الرسائل كانت مكتوب فيها:

لقد قدَّمت طلب تعيينك في مستشفى؛ ننتظر حضورك..

ينتابه شعور الاشمئزاز، يرتشف آخر رشفة من القهوة، يعود إلى غرفته ليرتدي ملابسه، ويأتي بالمشط ليرفع خصلات شعره، ينظر إلى صورة أبيه المُعلقة، يحدثه كم اشتاق إليه وإلى نصائحه وأنه يحبه كثيرًا..

يلتفت إلى أمه، ويعطيها قُبلة صباحية، يشعر كأنها تضحك له، فيودعها ويغادر منزله، يذهب إلى سيارته ليجدها فارغة من البنزين، وينظر إلى جيوبه الفارغة من النقود، ليس بها سوى خمسة عشر جنيهًا فيندب حظه كثيرًا، ويوقف أقرب سيارة تقابله.

يستقل سيارة أجرة، وبعد نصف ساعة من ركوبه وصل أمام المستشفى مباشرة، وحدثت مناوشة بينه وبين السائق، انتهت بدفع عشرة جنيهات، ثم جرَّ قدميه ليذهب صاعدا درجات السلم، كانت مُستشفى نفسية خاصة، دلف إلى الداخل، جلس على أحد المقاعد بعد أن طُلب منه الانتظار، وبعد دقائق تم ذكر اسمه فدخل، كانت غرفة أنيقة للغاية تليق بمُديرها، مُزينة بأثاث راقٍ كأنه قد صُمم خصيصًا، يجلس على كرسيه المُتحرك، رجل أبيض الشعر عريض المنكبين، متوسط القامة، تستلقي بعض

الشعيرات على رأسه الأصلع، عيناه حادتان، وأنفه معقوف، كان يرتدي بزَّة زرقاء أنيقة، وفي يده اليسرى خاتم من الألماس بجانب جذائيه اللامعين بأناقة شديدة، وقال مُحدثًا ياسين: ما أسمك؟

أجاب ياسين: أسمي ياسين المنياوي يا سيدي..

سأله: هل تم تعيينك من قبل؟

رد ياسين ناكرًا: لا يا سيدي، حاولت كثيرًا، لكن لم يحالفني الحظ..

قال: كيف ذلك؟ أحمق من يرفض أوراقًا مثل هذه؟

وأكمل: حسنًا، أنت معنا منذ هذه اللحظة، وضرب الجرس القابع على مكتبه ليأتي أحد الممرضين قائلًا له: أوصل الدكتور ياسين إلى مكتبه..

قال ياسين: شُكرًا لك سيدي..

غادر ياسين بصحبة الممرض، بعد أن شكر المُدير، وفي أثناء مروره أخذ يلقي نظره على أروقة المستشفى والغرف، وبعد دقائق وصل إلى مكتبه، أخذ يتفحصه قليلًا، كانت غرفة صغيرة جُدرانها مطلية باللون الأزرق الفاتح، وبها خزانة صغيرة رمادية اللون حاملة للأدوات الطبية، وتلفاز ومكتب صغير، جلس على مقعده شاردًا حامدًا الله على نيل هذه الفرصة، وإلا كان انتهى أمره، انتبه لبعض الطَّرقات على باب الغرفة، فسمح بالدخول:

ياسين! أتم تعيينك هُنا؟

قال ياسين متفاجأً: خالد! أنت هُنا؟ نعم قد عُيِّنْتُ اليوم!

وأكمل بسؤال: أتعمل هُنا؟

قال خالد: نعم، أعمل هُنا مُنذ شهرين تقريبًا..

قال ياسين ضاحكًا: الحمد لله أنكَ هُنا؛ كنت خائفًا من ألا أعرف أحدًا..

رد خالد مُبتسمًا: لا تقلق، سآتيك وقت ما تحتاج لي..

وسأله: هل تريد العمل ليلًا أم صباحًا؟

قال ياسين مُتعجبًا: أهُنا بمواعيد؟

قال خالد وهو يضحك: نعم، أنت هُنا في مستشفى أوروبي؛ كل شيء بنظام..

قال ياسين بعد أن انتهى من تفكيره: أُحب العمل ليلًا إن شاء الله..

قال خالد باسمًا: كنت أعرف أنك ستختار العمل ليلًا..

ضحك ياسين وقال خالد: لا مُشكلة، سأغير مواعيد عملي من أجلك..

قال ياسين: شُكرًا لك يا صديقي..

وغادر خالد بعد أن استأذن ياسين للقيام ببعض الأعمال، قام ياسين من مجلسه وخرج إلى الفضاء الواسع أمام المستشفى، جلس قليلًا ليتنفس الهواء، وأخرج راديو قديما قد اشتراه، وضغط على الزر لينطق بـــ:

القلب يعشق كل جميل.. وياما شفت جمال يا عين..

واللي صدق في الحُب قليل.. وإن دام يدوم يوم ولا يومين..

واللي هويته اليوم.. دايم وصاله دوم..

لا يعاتب اللي يتوب.. ولا في طبعه اللوم..

واحد مافيش غيره.. ملا الموجود نوره..

دعاني لبيته.. لحد باب بيته..

وأما تجلى لي.. بالدمع ناجيته..

كنت أبتعد عنه.. وكان يناديني..

ويقول مصيرك يوم.. تخضع لي وتحبني..

طاوعني يا عبدي.. طاوعني أنا وحدي..

انسابت الموسيقى داخله، وأخذت تتوغل داخل روحه بهدوء، استسلم واستسلمت روحه واستكانت، وأخذ يتمتم في قرارة نفسه:

هل أصبح الحلم جريمة؟ هل من يذهب خلسة ليحلم مُذنب؟

الحلم: هو الأمل، المقاومة، الحياة، الذي يعيش به الإنسان ويستطيع أن يكمل به دبيب السنوات ثابتًا قويًا، لا يكترث لشيء ولا يخضع للصدمات ولا للأزمات، هو الواقع الخيالي الذي يقوم بصُنعه خيال الإنسان الواقعي، وينغمس داخله ويصنع حياة وبريقا هُنا وهُناك!

والصدمات: هي الخيبات المُتكررة من أشخاص وأشياء وأفعال قد تدوي بك طريحًا لا تنهض بعدها ثانيةً..

أما الأزمات: فهي بمثابة جهاز كشف الكذب، فتظهر لك ماذا يُخبئ لك كل شخص قريب منك، ومن يتحملك في أبشع صورك؟ من يقف بجانبك عندما يبتعد عنك جميع من حولك! من سيصدقك على الرغم من أن كل من حولك يُكذبك!!

المُشكلة هُنا ليست في الأحلام؛ لأن جميع أحلامنا تكون بسيطة للغاية، المُشكلة في من يحلم، هل لديه الأحقية بهذا الحلم؟ هل من العدل أن يحلم أي إنسان؟ هل يسعى هذا بل ويُقتل على ما يُحقق، وذاك يُحقق دون سعي؟ الحياة دائمًا ليست عادلة، فتعطي ذاك ما لا يستحقه، وتعطي الذي يستحق لا شيء، نحن نستحق وسامًا من الشكر لتحملنا هذه الحياة العتيقة المؤلمة، نحمد الله على الصبر وعلى القدرة على التحمل.. ولكننا لا نعرف أنلتفت لأجل ماضٍ وانتهى أم نلتفت لأجل قادم لا نعرف ماذا يخبئ لنا؟!

أصبحت حياتنا كحياة موظف بالحكومة، يعيش حياته وفق نظام يومي يؤديه ويقوم بعمله في هذه الوظيفة على أكمل وجهه دون أن يصبح أفضل!

انتبه إلى صديقه خالد وهو يُحدثه: أين أنت شارد؟!

رد ياسين: لا شيء، كنت أفكر في الوظيفة..

قال خالد: أُحدثك منذ خمسِ دقائق يا رجل..

قال مُتسائلا: هل انتهيت من عملك؟

قال: نعم، قد انتهيت منذ قليل..

وأكمل: هل تريد أن أوصلك؟

قال ياسين في قرارة نفسه: يا لحظي اليوم!! لا أريد أن أُتعبك..

قال خالد مُبتسمًا: تعبك راحةٌ يا صديقي..

الشمس تُصدر أشعتها بحثًا عمَّن يستقبلها، قام مُنتزعًا نفسه من أفكاره عنوة، وخرجا من بوابة المستشفى، ركب خالد في المقعد الأمامي، وفتح ياسين الكرسي الذي بجانبه وانطلق، وظلا طوال الطريق يتحدثان عن أيامهما بالكلية، وماذا كانا يفعلان، وعندما كانا يهربان من المُحاضرات.. إلى أن أبطأ خالد من سُرعته إثر ازدحام الطريق المُفاجئ، فانتظر قليلاً وتعجب ياسين..

فقال مُتسائلًا: ماذا يحدُث؟

رد خالد قائلًا: أتوقع إما حادث كبير، أو هُناك شرطي يُنظم الطريق..

قال ياسين: لا إله إلا الله.. حادث! فليلطف الله..

قال خالد مُبتسمًا: لا تقلق، الحوادث هُنا أصبحت عادة يومية..

الدقائق تمُر والطريق يزدحم أكثر فأكثر، يفتح ياسين الباب من الملل، وينظر مُتفحصًا ماذا يحدث ليجدهُ حادثًا كبيرًا وقع رهينته سيارتين، أحدهما ملاكي والثانية نقل، فقال مُحدثًا خالد: ما رأيك بالذهاب لنرى؟

قال خالد: لا أريد ذلك، فأنا أمقت مناظر الدماء..

رد ياسين ضاحكًا: هيا لا تكن كالفتيات!

نظر إليه بغضب وقال: أنا لستُ بفتاة!!

رد ضاحكًا: إذن لمَ ترفض يا فتاة؟

زفر غاضبًا وقال: هيا بنا! ولا تستهِن بي حتى لا أقتلع رأسك من جسدك!

قال ياسين: فلتفعلها إذن..

وترجلا من السيارة، وأغلق خالد الباب في ضجر، ونظر إليه ياسين ضاحكًا ليستفزه أكثر، وذهبا بين الحشد الكبير، أخذا يدخلان أكثر وأكثر، فقال ياسين ضاحكًا: أهو حادث فعلًا؟ أم حفل زفاف!

رد خالد : لا، إنه دمك الخفيف لا أكثر..

ضحك الاثنان وظلا يُكملان خطواتهما إلى أن توقفا أمام الحادث مُباشرة، ليجدا فتاة مُلقاة على وجهها غارقة في دمائها، فصاح أحد المتواجدين ألا يوجد طبيب هُنا!! أسرع ياسين للتقدم، وقام بحمل الفتاة وأخذ يُقلبها، كان وجهها مُلطخًا بالدماء، وما إن عرف ملامح وجهها! حتى تراجع بخطواته إلى الوراء، وأصيب بالذعر الشديد، وأُلجم لسانه، وأُطبق فمه، وكادت عيناه أن تخرجا من محجرهما! ووقع المشهد في نفسه، كوقع الصاعقة المُميتة!!

أنتِ!!!

****

رسالة رقم (١)..

"كُن عَوناً لنفْسكَ ودعْ لقلبكَ السلامَ"

رسالة رقم (٢)..

"حَاربْ منْ أجَلِك، فَأنتَ تَسْتحقُّ أنْ تُقام مَعْركة فِي سبِيلكَ"

الشمس تُظلل وجه الدنيا بخيوطها الذهبية، وتلقيها على الشوارع والجُدران والنوافذ، وتعلن عن اكتمال قرصها وأنها بعد ساعات مُستعدة لإخلاء مكانها للقمر، تنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط ناطقة عقاربها ببلوغهما الساعة الرابعة عصرًا، وتحدثها وريقات الشجر عن عدم تحملها وأنها ستجف، وتستميل الأرض بعطف الشمس حتى ترحمها من أشعتها الحارقة، تترجاها نسمات الهواء حتى تأخذ دورها، كلٌّ يقف أمام الشمس وخيوطها.. كما كان كل شيء يقف أمام وصال، تستيقظ من إغماءها المُضطرب، ويمر عليها شريط ما حدث أمامها، فلملمت قدميها في خوف وسألت جدتها وهي تمسك برأسها قائلة: ماذا حدث؟!!

قالت الجدة: وقعتِ هُنا مغشيًّة عليكِ..

قالت وهي تهز رأسها: لا، لا أتحدث عني، أنا أتحدث عن الأستاذ حسين هذا!!

قالت الجدة تطمئنها: عندما سمعنا صوتكِ، جاء جميع الممرضين واستطاعوا أن ينقذوه..

وسألتها؟ ماذا قال الطبيب؟

قالت: إنها نوبة صرعٍ مُعتاد عليها دائمًا..

قالت وهي تحيط رأسها بقوة: أريد أن أذهب لأراه..

قالت الجدة نافية: لا، ليس الآن؛ ألا ترين نفسكِ؟ انتظري ساعة أخرى حتى تهدئي..

انتظرت حتى نامت جدتها، وقامت خلسة دون أن تشعر بها، تحاول أن توازن جسدها مع حركتها، لكنها لم تستطع وكادت أن تقع، بل إنها في كل خطوة تقف قليلًا لتأخذ أنفاسها، وتحاول إخراجها بصورة مُنتظمة، رأتها ليلى من بعيد فهرولت مُسرعة لتسندها وقالت:

لماذا خرجتِ من سريركِ؛ هذا خطرٌ عليكِ؟!

ردت وصال بلا أي أهمية لحديث ليلى: أين غُرفة الأستاذ حسين؟

قالت مُتعجبة: الأستاذ حسين؟ إن غرفته في أول الممر..

قالت وصال: اتركيني، سأذهب وحدي..

وتسندت على الجُدران إلى أن وصلت أمام غُرفته، مدَّت يدها ليُعلن الباب عن طرقات ناعمة لم تلمسْه منذ فترة كبيرة، وأتى صوت من بعيد يسمح بالدخول، ففتحت الباب بصعوبة، عندما رآها نهض قاعدًا وقال: أنتِ؟ تفضلي..

اقتربت بخطوات مُتهادية مُتعجرفة، وجلست على أقرب كُرسي قابلته وأطلقت شهيقًا دوى صوته في أذن الغرفة، ونظر إليها وقال:

غريبة، أنتِ هُنا، هل لي أن أسألك لم جئتِ وأنتِ بهذه الحالة؟

ردت: لا أعرف، لكن أنت تُذكرني بأبي!!

وباغتته بسؤال: لمَ لا أرى أحدًا هُنا من أقاربك أو أولادك؟

بابتسامة جانبية مريرة تحمل معانٍ كثيرة: لن ترَيْ أحدًا..

قالت مُتسائلة: لِمَ؟

قال موضحًا: ليس لي أحد يا ابنتي، أنا وحيد دائمًا، بعد وفاة زوجتي لم يبقَ لي سوى بقايا رائحتها، ورسالة واحدة من لمستها تُعطيني أملًا في الحياة..

قالت مُتعجبة: رسالة تُعطيك أملًا كي تحيا؟

قال مُتبسمًا: نعم، هي في هذا الدرج أخرجيها..

فمدت يدها لتلتقطها، وأمرها بفتحها:

"أنثر هذه الحروف على الأوراق بدمي وليس بيدي، وأكتب إليك حبيبي رسالتي:

أنت عقيدتي وكياني، أنت روحي وأملي، لا تيأس بعد ذهابي، بل حارب لأجلي، وسأنتظرك يوميًا في قبري"

"حبيبتك"

قالت في دهشة: أتحيا حياة كاملة من أجل هذه الرسالة فقط؟!!

قال: نعم، ليس المغزى هُنا في الرسالة أو كلماتها، بل أشعر أنها تأتيني يوميًّا لتُلقي على مسامعي هذه الجملة ثم تذهب، لذلك أتحدث معها يوميًّا، ويظن جميع الناس هُنا أنني مجنون! ولكن أن أصبح مجنونًا في سبيل مُحادثتها هو الدنيا بأكملها، وأستطيع أن أكون مجنونًا في عين كل من يراني يوميًّا، لا، ليس يوميًّا، بل كل ثواني ولحظات هذه الدنيا من أجلها فقط!! هي فقط!!

قالت وعيناها تحاول أن تكتم الدموع:

أي حُبٍّ هذا؟!! لكن أظن أنه لم يعد له وجود!

قال ضاحكًا: لا تُعلِّقي فشلك على شماعة الحُب، بل هو أنقى ما وُجِدَ على هذا الكوكب، وكما قُلت لكِ من قبل، الاختيار الخاطئ داخلك، فلِمَ لا تحاولين؟

ردت غير فاهمة: أحاول ماذا!

قال وهو يحاول الثبات:

حاولي أن تخرجيه من قلبكِ! هل تستطيعين أن تواجهيه؟ هل لديكِ الجرأة في أن تقفي أمامه وتنظري إلى عينيه وتصيحي به وتحثيه أن يخرج منك؟

قالت: لقد أتى في أحلامي وقد واجهته!! لكن المُشكلة ليست به هو! المُشكلة بي أنا! ليس من السهل أن أنسى وأن أمحيه بكل سهولة من حياتي هكذا! لقد التصق بروحي وأَبَى أن يخرج!! هل يُخيَّل لك أنني أُريد كل هذا!! أنا أريد أن ينطفأ كأنه لم يكن يومًا، كأنني لم أعرفه قط!!

قال باسمًا: هل تظنين أن كل من هُنا قد نسي؟ ولكن الفرق أنهم قد تعايشوا على ذلك، تعايشوا على عدم وجودهم وأصبحوا وحيدين ومُكتفين بأنفسهم، أو لنقل أنهم واهمي أنفسهم بذلك! لا يستطيع أحد أن ينسى حُبًّا صادقًا مر على جُدران قلبه وهدمه! ولنقل لينسى.. أي شيء سينساه؟ أسينسى حُبه له! أم ينسى تدميره له!!

ردت: عندك حق!! لا أعلم حقًّا ماذا أنسى! لقد مر بلحظات خافقة لقلبي حُبًّا، ثم اختلط بخفقات لقلبي ألمًا!!

قال ماسحًا دموعها بيده: اكملي حياتك يا ابنتي، لا تلتفتي لشخص ذهب، فليبق من يبقى، ولا إلى طريق غفلتي عنه، سيأتي طريقٌ آخر، اكمليها حتى لا تجف مشاعرك، ولا تستطيعين التفريق فيما بعد بين الحُب والكُره!!

قالت وهي تبتسم لأول مرة: شُكرًا لك، لقد تعلمت منك كثيرًا..

وسألته: لكنك لم تقل لي ما اسمها؟

نظر إليها ضاحكًا والبريق يظهر في عينيه وقال: اسمها أنين..

سألته: وما معناه؟

أجاب: أنين: هو صوت عميق مُتردد، يحمل طبقة من الألم والوجع..

ردت: امممممم إنه يليق بي إذن..

أجاب رافعًا حاجبه الأيمن: لا، إنها ليس لها مثيل.. وصال: هو اندماج الأحبة ومُبادلة الحُب فيما بينهم..

قالت ضاحكة: لقد أقنعتني هكذا.. سأذهب أنا لتستريح أنت..

رد: لنا لقاء آخر..

ودعته وقامت من مكانها، وفتحت الباب ودلفت إلى الخارج، أعطت الإشارة لقدميها أن تستعد للتحرك، لكن قدماها تأبى ذلك، ولكن بكُل ثقل الدنيا، تحركت وظلت تتسند حتى وصلت إلى غرفتها، دخلت تتفادى إيقاظ جدتها، واستكانت على سريرها، أرجعت رأسها للوراء، وأصدر هاتفها صوتًا مكتومًا، انتبهت فتناولته بأطراف أصابعها لتجد اسم صديقها عُمر، لا تُريد مُحادثته؛ لا تعرف ماذا تقول له، تركت الهاتف بجانبها، وبعد دقائق أرسل عُمر رسالة أخرى، فقررت أن تُحادثه ويحدُث ما يحدُث، ففتحت الهاتف وضغطت على زر المُكالمة.

جرس ثم جرس ثم جرس ثم قال:

الوو.. الوو وصال!!

ردت بعد أن ابتلعت ريقها الجاف: عُمر.. كيف حالك؟

قال مُتعجبًا: تسألينني عن حالي؟! كيف أكون بخير وأنا لا أعرف شيئًا عنكِ؟!!

ردت بهدوء: أعلم أنني مُقصرة معك، ولكن سامحني أعتذر لك..

قال: لا، لا أريد التحدث معكِ، هيا اذهبي..

ردت باسمة: إذن مَنْ اتصل بي خمس عشرة مرة؟ وخمس وعشرون رسالة بها كل كلام الدنيا، أنا أم أنت؟!

همس مُتوجعًا: قلبي يؤلمني عليكِ يا وصال!! أشعر أن بكِ شيء قاتل!! أرجو أنا يخالفني شعوري!!

ردت بصوت مُختنق: لا أعرف ماذا أقول لكَ، لكنني لست بخير ويُمكن أن يكون شعورك صحيحا..

استكمل همسه قائلًا: أعلم، وأعلم ما تمرين به!

رد مستفهمة: كيف؟

أجاب: لأني شعرت بذلك!! وأنتِ تعلمين أني أذهب وراء ما أشعر به فقط!!

قالت وشفتيها تعلوهما الابتسامة: حسنًا يا صاحب المشاعر..

وأكملت: اممممم، كيف حال علاقتك القديمة؟

قال عُمر بنبرة فاح منها الألم: انتهت..

قالت غير فاهمة: لمَ؟

رد بعدما أخذ ما يقارب دقيقتين: لا أعلم!!

قالت بشيء من الدهشة: كيف لا تعلم! ألا تعلم كيف انتهى حُبك!!

قال مُتألمًا: أقسم لكِ لا أعرف كيف انتهت، أو متى انتهت!! لكنها انتهت في لحظة فقط!!

قالت وزاد تعجُبها: لا أفهم شيئا!!

قال ووجهه يعلوه غيمة من الحُزن تأبى أن تتركه: هل يُمكن أن تتفهمي أن علاقة استمرت أكثر من سنتين أن تنتهي في لحظات؟!!

قاطعته لوهلة كأنها تذكر شيئًا ما: هل قُلت لها؟!!

أجاب: نعم، لا يُمكن ولا أستطيع أن أُخفي شيئًا كهذا!!

قالت موافقة رأيه: أحسنت، فعلت الصواب!!

رد بضحكة ساخرة يملؤها وجعٌ ساحق: أخبرتها بكُل شيء، وأنني مُصاب بالقلب، وأيامي معدودة في هذه الحياة، وقُلت لها:

أستطيع أن أتحمل أي شيء، أي مرض بوجودكِ فقط!! لا سبيل ولا حياةِ لي دونكِ!!

ردت وصال ووجهها تعلوه غيمة من العجب: وماذا قالت؟!!

قال بابتسامة قهر:

لا شيء، أغلقت هاتفها، وأغلقت جميع حسابتها على مواقع التواصل الاجتماعي واختفت! وبعد أيام من محاولاتي في العثور عليها، جاءتني رسالة من رقم مجهول فحواها:

"لا أستطيع أن أحيا مع شخص ميت من الأساس.."

ردت بنبرة حزينة: يا إلهي.. يا وجع قلبي!!

قال مُستكملًا:

ليست المُشكلة هُنا، بل أن وفاة أبي وأمي في حادث سير كان قبل ذلك بيومين، وقد أعلمتها!! لم تترك قلبي فقط، بل تركتني في سحابة يغزوها ألم شديد يطرح من يقربه أرضًا!!

قالت بنبرة آسفة:

يا إلهي!!!! ماذا تقول!! لا أصدق!! إنا لله وإنا إليه راجعون.. البقاء لله.. كيف استطعت تحمل كل هذا!! كيف استطعت تحمل كل هذا الألم؟!

رد: ماذا أفعل غير ذلك يا وصال؟ ليس لي غير أن أتحمل وأن أكمل ما بقي لي من حياتي!! أم هل تريدينني أن أموت يا حمقاء؟!

فضحكت فاهتزت الغرفة ابتهاجًا لم يزرهَا مُنذ وقت طويل وقالت:

أنت الأحمق..

قال: أُريد أن أرَاكِ..

لم تعرف بماذا ترد، وقالت بعد تفكير: أنا مُسافرة مع جدتي وسآتي الشهر القادم..

قال مازحًا: امممم أزواجك اقترب..؟

أجابت: لا، بل جنازتك!!

فتعالى صوت ضحكاته وقال:

حسنًا، حسنًا أعلم أنكِ إن تم فتح فمك لن يسده شيء أبدًا..

قالت مُحذرة إياه: نعم، الحمد لله أنك ما زلت تتذكر..

قال ضاحكًا: نعم، نعم أتذكر، ما زلت مسجلًا رقمك على هاتفي باسم: وصال الحمقاء والدبش..

زفرت في ضجر وقالت: أحمق..

همس بصوت حنون: أطلعيني على حالكِ من فترة لأخرى..

قالت: حسنًا، وأنت أيضًا.. اعتنِ بنفسك..

رد : وأنت أيضًا..

انتهت من حديثها وأغلقت الخط..

عُمر هو صديقها مُنذ أن تواجدت على وجه هذه الدُنيا، كانت تفر خلسة من والدتها لتلعب معه، وكان يترك أصدقاءه ليلعب معها، يكنّ لها في قلبه حُبًّا كبيرًا، وهي أيضًا تُحبهُ كثيرًا، خافت من رد فعله من تواجدها هُنا، وهي تتقن الكذب عليه، نفضت ما برأسها، وقامت من مجلسها تحمل قدميها بكلتي يديها لتذهب بهما إلى الشُرفة، مكانها المُفضل مُنذ دخولها هذا المُستشفى، تشتم رائحة الهواء الذي تسلل خفية ليُداعب خصلات شعرها البُنية، تنظر إلى النجوم، وتبتسم لهذه النجمة الظاهرة هُناك، وتظل مُبتسمة حتى تنبهها وجنتاها بنزول دموعها، وأنها مُستاءة من كثرة تواجد تلك القطرات..

أبي، مُعلمتنا اليوم قالت: إن لكل داء دواء.. إذن هل للحُب دواء؟

رد باسمًا:

دواء للحُب؟ لا يا ابنتي، ليس له دواء، ولو بحثتِ في جميع زوايا الدُنيا لن تجدي شيئًا أبدًا، الحُب كما قُلت لكِ كالمرض، لكن ليس المرض الذي ينتهي ويذهب، بل هذا الذي يظل قاعدًا ثابتًا يأبى المُغادرة، حتى لو مات حامله أو ماتت الدُنيا بأكملها، يظل هذا الحُب متواجدًا داخل جُدران قلبه مُسيطرًا على منافذه قاتلًا لأي سبيل لإخلائه، ورادعًا لأي شخص يلمسه!

قالت مُتعجبة: أهذه الدرجة!!

قال: وأكثر يا ابنتي، إنه أصعب من زحام الدُنيا وتراكماتها وصدماتها وأزماتها، إنه كالثعبان الذي يقذف سمه إليكِ، ثم يختفي بعد ذلك!! ماذا ستفعلين حينها؟ هل ستقومين بالبحث عن هذا الثُعبان؟!!

قالت باسمة: أنا؟ لا، أنا لن أحبَّ أبدًا..

قال ضاحكًا: ستكونين أول من تُحبين!!

وأكمل: من تتحدث عن الحُب دائمًا ويحيط بها الشغف هكذا، تكون أول من تُحب.. وستكون أيضًا أول من تُصاب!!

قالت في شيء من الدهشة:

لا يا أبي، أنا أخافه كثيرًا، أخاف أن يدوي بي، ولا يتركني أبدًا أخاف أن أتألم أو أن أُصبح هشة بسبب الحُب!!

قال: لا تقلقي يا ابنتي! الألم ليس شيئًا سيِّئا، بل سيُعلمك كل شيء بعد ذلك!!

ردت مُتعجبة: الألم ليس بسيء؟!!

قال: نعم يا حبيبتي.. من الذي استدعى الألم؟

هزت رأسها نافية..

فأكمل: الحُب هو من استدعاه، هو من أجبرهُ على القدوم، ولم يستدعه عبثًا، بل ليُعلمك كيفية الاكتفاء بذاتك والاتكاء على نفسك لا على أحد، لا تربُطي سعادتك أو حياتك بشخص يقوم بقتلك كُل ثانية!! الحُب هُنا يساعدك، يمد يده ليفتح لك أبوابه، لن يتركك ويذهب! بل لم يترُك قلب أحدٍ أبدًا من صغير أو كبير، إلا ما زال ينبض قلبه حُباً!!

قالت بنبرة تفوح منها رائحة الألم:

وهل ترك قلبك يا أبي بعد وفاة أمي؟

قال بنظرة تحمل كلمات ترفض أن تخرج واستقرت داخل القلب:

لم أنسَ أمكِ ولو لحظة واحدة! هي أول من أحببت وآخر من أحببت! هكذا يا ابنتي الحُب الأول لا يُنسى أبدًا، حتى لو أتى بعده أي شخص يظل هو بمكانة في القلب دائمة لا يتزحزح مقامها أبدًا..

"الحُب الأول لا يُنسى أبدًا"

تقف تحت الماء تنظر إلى مرآتها الصغيرة، كطفلة رضيعة تنظر إلى عين أمها فتحتضنها بقوة تمد يدها إلى وجهها لتتفحصه، تشعُر أنه قد عاد للحياة مرة أخرى بعد وفاته، تهز رأسها رافعة خصلات شعرها المُنكمشة المُلملة لأركانها الساكنة لمحتواها، تنهل على جسدها المُتأكل والمُتهالك

قطرات الماء الراغبه به يفسح جلدها المكان لتغزو به قطرات الماء، تُغمض عينيها وتسند رأسها إلى الحائط، يرتعش المصباح الأبيض ويومض بقوة، ثم لحظات وتضعف، تبكي وتُزيد في بكائها، لا أحد يسمعها، لا صوت لا شعور، الجو مليء بالبُكاء فقط، تهدأ وتستكين، شعور الرغبة في البُكاء ممزوج بشعور الرغبة في الاستكانة، تخرج من الحمام وتتساقط من خصيلات شعرها قطرات الماء، وتذهب إلى سريرها وتجلس على طرفه، تسمع طرقات على الباب فتسمح بالدخول: ما هذا الجمال ما هذا؟ من أنتِ؟

ضحكت وصال وقالت: ها أنتِ يا ليلى، أين كُنتِ؟

قالت: لقد جئتكِ لأمرٍ هام للغاية..

اعتدلت في جلستها وقالت: ماذا هُناك؟

قالت في حُزن: لقد صارت حالة الأستاذ حسين غير مُستقرة تمامًا وقد يموت في أيَّة لحظة، ولم يستطع أن يُقنعه أحد بالدواء، وأنت الوحيدة التي تستطيعين إقناعه..

قالت وهي تهز رأسها بالإيجاب: فهمُتكِ، لا تقلقي، سأحدثه..

قالت وهي تهمُّ بالذهاب: حسنًا سأذهب وآتيكِ في وقت آخر..

وباغتتها بابتسامة عند خروجها. الساعة أوشكت على بلوغ الحادية عشر مساء، استيقظت جدتها وهي تُفكر في أمر هذا الرجل، وكيف ما زال يُحب بكل هذه القوة والتحمل، حدثتها قائلة: ألن تنامي؟

ردت: كنت سأنام الآن يا جدتي..

قالت: تأخر الوقت، هيا اخلدي للنوم..

وما إن تركت جسدها يعتدل على السرير حتى غطت في نوم عميق..

***

طرق الصباح الأبواب بُعنف، ليعلم ما سبب استقبالهم لليل، وعند قدومه يتأخرون، فأسدلت الشمس بأشعتها خيوطا تتوغل داخل المنازل عنوة، تُفتح النافذة وتستغل خيوط الشمس الفُرصة لتنقض على أعين وصال، فتستيقظ واضعة يديها على جفنيها بعدما تلقت ضربة من الشمس الصفراء اللون الذي تمقته، وتجلس على سريرها بخلفيته السماوية وفرشته الوردية التي حاكَتْها جدتها خصيصًا لها، تترجى من أنفاسها أن تنتظم في خروجها ودخولها، تعدل من هندامها، وتلمح بطرف عينيها كوبا من القهوة الساخن على الطاولة الصغيرة، تمد يدها في بطئ لتلتقطه، وتقف وتسير بخطوات مُتهادية إلى الشُرفة تقف بها تتسند بفستانها الأزرق على السور، تنتبه للأستاذ حسين فتجده يجلس وحيدًا كعادته يتحدث إلى نفسه، فصاحت بصوتها عاليًا:

أنت ما زلت مريضًا؛ ماذا تفعل في الصباح الباكر هُنا؟!

ما إن سمع صوتها حتى اقترب بكُرسيه المُتحرك وقال: صباح الخير..

قالت: صباح الخير..

قال مُشيرًا: أترينها؟ إنها هُناك تقف بجانب الشجرة، لقد حدثتها عنكِ أمس، وأحبتك كثيرًا مع أنها قد شعرت بالغيرة قليلًا..

فتابعت وصال نظراته ورفعت يدها مُشيرة وقالت: كيف حالك؟

نظر إليها مُبتسمًا وقال:

أعرف أنكِ لا ترينها مثلي، وأنك تفعلين ذلك من أجلي فقط..

حاوَلَتْ أن تغير الحديث وقالت: لمَ لا تلتزم بدوائك!

قال بابتسامة عابثة:

لأنني أمقت الدواء، واقترحت عليَّ حبيبتي أن أذهب إليها..

قالت: لكنها لن تسعد برؤيتك هكذا ضعيفًا مُتهالكًا..

رد: لا، لست ضعيفًا، الدواء من يجعلني أضعف من الأساس..

همست بحنان كأنها تحادث أبيها: هل تعدني أنك ستلتزم؟

أجاب: لا أريد وعودًا..

قالت متأملاه: ولو كان من أجلي؟

فكر قليلاً وقال: حسنًا، من أجلكِ فقط..

وهم بالذهاب، وقبل أن يُغادر التفت وقال:

أرأيتِ لقد شعرت بالغيرة ثانية!

نظرت إليه بابتسامة وودعته، وجلست على الكُرسي بعد أن أمرت جميع ذكرياتها الأليمة بالابتعاد قليلًا، تمر الدقائق والثواني ويتصارع القلب والعقل، ويرفض كُلٌّ منهما الاستسلام..

ولكننا نعلم من يفوز في نهاية المطاف، فالعقل دائمًا يخسر، ارتشفت آخر قطرات كوب القهوة اللذيذ، تعشق القهوة وتُحب لونها، تعشق الأكلات البسيطة، وتحب الشيكولاتة، وتهوي الورد، فتاة بسيطة قسمها الوجع والالم نصفين، أحدهما يُصارع للبقاء، والآخر يُصارع للفناء، كلمتان عكس بعضهما، ولكن كُل منهما يحمل معانٍ كثيرة، تطلق العنان لخيالها وتتمتم مع نفسها قائلة:

لم الألم قاسٍ هكذا؟ أيفعل كل ذاك بالإنسان؟ أيأتي له قلب ليقوم بذلك؟ أيقوم بتحطيمه وكأن شيئًا لم يكن؟ لم لا يواجهني؟!! أنا فتاة قوية، أستطيع أن أواجهه وأقتله ليكف عن إلحاق الأذى بأحد!!

الألم: شعور بهِ شعوران: الأول: لُيعلمك أن لا تثق بأحد..

والثاني: ليقتُلك!!

انتبهت لصوت جدتها وهي تقول: الدكتور ياسين هُنا ليراكِ..

فالتفتت وقامت لتجلس على فراشها، كان ياسين واقفًا أمامها مُباشرة ينظر إلى عينيها ويقول: بشِّريني كيف حالك؟

قالت وقد رأت بريق عينيه: الحمد لله بحال أفضل..

قال وهو يجذب الكرسي ويجلس: الحمد لله..

ثم رماها بنظرة سائلًا: سمعت أنكِ كونتِ علاقات لكِ بالمُستشفى..

قالت مُتعجبة: وكيف عرفت؟

أجاب: ليس مُهما. المُهم هو تحسنكِ..

قالت في غضب: تحسُّن ماذا؟ أنت لا تأتي من الأساس! هل هذا هو عملك! أم أنك مشغول بعيادتك الخاصة!

نظر إلى شرارة عينيها وقال وهو يبتسم:

لا، لستُ منشغلًا إلا بعلاجكِ، ستُصبحين بحال أفضل إن شاء الله..

وأكمل ناظرًا للجدة:

أعتذر عن إزعاجكما، سأنصرف الآن وسآتي في وقت آخر..

وهمَّ بالمغادرة، وشعرت وصال أنها ألقت كلامًا شديدا على القلب، لكنها قالت لنفسها: هذا ما يستحقه، فلست أتحدث عني بل عن جميع المرضى..

وسألتها الجدة: لمَ تحدثتِ معه هكذا؟

قالت: لا أعرف، لكن هو من اضطرني لفعل ذلك..

قالت: هو دائمًا ما يتواصل معي من أجلكِ.. وهو أيضًا لا يمتلك عيادة خاصة!!

نظرت إليها وصال وقد شعرت بالندم. ينتهي الصباح كعادته، تمر ساعات الضُحى تباعًا، كُل شيء يتغير إلا حياتها، لا شيء جديد؛ بُكاء، ضعف، حياة مكررة مملة، أمل ضعيف، وألم قوي!!

وأتى الليل فأرخى سدوله، وهبَّت نسائم الرياح إلى القفز عاليًا لتهز الستائر الوردية مُجبرة، أوشكت النوافذ على الخروج من مكانها بسبب عدم تحملها أشعة الشمس، أو ثُقل الليل، لكن على أية حال، المناخ رائع ومُناسب لمزيد من الألم والجراح التي لا تنتهي ولا تختفي أبدًا..

حياتي ليست قصة واحدة! بل مجموعة من القصص المثيرة التي لا ينتهي أبطالها..

أنا الأمل والألم في آن واحد!! أنا الشعور بالشيء واللا شيء!!

أنا الحياة والموت!! أنا الصراع والهدوء!!

أنا الجنون والسكون!! أنا الحُب والفراق!!

أنا لا شيء!!!

لن يتغير شيء بسعادتي أو بألمي!! لن تُطبطب عليَّ الدُنيا!!

أنا لا أكره شيئا أكثر من كرهي نفسي المُشتاقة على الرغم من كل ذلك!

ماذا أيتها النفس!!

انتفضت وصال من الطرقات الشديدة على الباب، فصاحت بصوتها عالياً: من؟!!

دخلت ليلى ولا تقدر على أخذ أنفاسها وقالت: الأستاذ حسين!!!

نظرت إليها وصال في تعجب وقالت: ماذا به؟!

أجابت بتلعثم: لقد.. إنه..

قالت وصال ولم تعد قادرة على تحمل أعصابها: تكلمي!!

قالت بعد أن فاض ما بها: لقد مات!!

ردت الجدة: كيف؟!

قالت: لم يتعالج من مرضه الخطير؛ ومات!

لم تنبس وصال ببنت شفة، وكأنما سقطت على قلبها صخرة من جبل عالٍ حطمت قلبها، وانفك عقده وعلت وجهها لفحات من الصدمة الموحشة، وتخشب جسدها وخرَّت صامتة لا تتحرك..

****

رسالة رقم (٣)

"لَومُ النَفَسِ يُزِيدُ اَلأَلَمَ"

رسالة رقم (٤)

"كَأن الْقَلبَ يسْتَمِيل عَطْفَ الحُزنِ ليَتَوَقَفَ عَنْ الْأَلَمِ"

رسالة رقم (٥)

"لاَ تَظُن أنَ العالم سَيَتغَير لحُزنكَ، أو قَدْ يَنْتِهِي الكَوَنُ لأجَلكَ، فلْتفَهمْ؛ أنتَ عابرُ سبيلٍ وراحل مهما كان"

هل استيقظت يومًا على حلمٍ أعطاكَ ابتسامة واسعة وأماني كثيرة، وتبدأ يومك بسعادة بالغة، ثم للحظة ينتهي هذا الحلم وينقلب إلى كابوسٍ!! وبدلًا من أن تقوم وابتسامتك تعلو شفتيك تستيقظ على تنهيدة ألم تغزو كل جسدك، ولا تستطيع القيام منها إلا بالبكاء والتحسر على ما مضي!

الفرق هُنا في ماذا؟

في الحلم؟ في الشخص؟

في الحياة؟ فيك أنت؟!

لن أعطيك أملًا مُزيفًا، ولن أوهمك، لكن جميعنا مُخطئون، مخطئون بحق أنفسنا قبل أي شخص، مخطئون بعدم انسحابنا في وقت كان الانسحاب فيه أمر واجب ولازم، مُخطئون عندما أُهدر حقنا أمام أعيُننا، والتزمنا الصمت لا أكثر ولا أقل، في وقت كانت الكلمات هي أقل شيء يُمكن فعله، مخطئون في حق قلوبنا الواهنة غير القادرة على تلقي صدمة أخرى تدوي بها إلى الأبد! من يحق له كسر عضو يتحكم بكل الجسد، بل يتحكم بكل شيء في حياتك! لمن يحق تغير ابتسامتك إلى حزن بالغ تربص بك، وقرر ألا ينصرف مهما تطلب الأمر من تضحية!!

لم يَعُد الأمر فُراقًا أو ألمًا أو جراحًا! الأمر أكبر من أن يُدركه عقل أو منطق! هو أشبه بدائرة تُحيط بك، ولا تستطيع الخروج منها مهما حدث!! كيف تسمح لنفسك الطاهرة النبيلة أن تلوثها بقايا شخصٍ بشع يعيش حياته في سعادة ورخاء!! أدركت كم نحنُ مُخطئون بحق أنفسنا؟ وتركها لمن يشاء لتعبئة مشاعره منها، ثم بعد أن يكتمل يذهب ليرى غيرك!!

اعتذر لنفسك ولقلبك، اعتذر لوقتك الذي أهدرتهُ في التفكير بهم، اعتذر لحياتك على ما مضى منها، وعِدْها أن ما سيأتي هو النجاح والاكتفاء بالنفس وتكميلها، عن طريق جُرعات من الأمل تخترق النفس لتنتشي، اعتذر لكلماتك الخارجة لهم، اعتذر لكل شيء وأي شيء..

اعتذر فقط!

في هذه الليلة الثقيلة على الفؤاد، زار القمر السماء السوداء، ليستأذنها في الجلوس مكانه، واعتلت النجوم بشعاعها الخافت جوانب السماء في استكانة، فأرخي الفجر سدوله الطاهرة التي تُعطي أملًا في إكمال هذه الحياة، فداعبت نسائم الهواء خصلات الشعر، ثم تسللت خلسة دون أن يشعر بها أحد، لتداعب ريحان الفؤاد، فيستنشق الفؤاد رائحة الفجر؛ فيرقص طربًا على نغم موسيقي قام بعزفه الفجر وخيوطه..

كان ياسين في هذه الليلة يشعر بألم في قلبه كعادته، لكن هذه المرة قد اشتد به الألم، فشعر أن روحه تبتعد إلى مكان غريب لا يوجد به سوى الحُزن، فأخذ دواءه وارتاح قليلاً، ليجر قدميه واقفًا في النافذة، ليدع الليل يُلقي ثقله ليخترق بخيوطه الرفيعة ما تأبى النفس البوح به، ارتشف آخر قطرات قهوته اللذيذة؛ فلا سبيل له بدونها.

تمر الساعات، وتتنافس عقارب الساعة على مرور الوقت سريعًا، ذهب إلى غرفته بعد أن اعتلى الصباح وجه السماء، ارتدى ملابسه وتجهز سريعًا ليذهب إلى المُستشفى، أصدر هاتفهِ الـ "نوكيا" القديم نغمًا، فالتقطهُ مُسرعًا ليجد اسم صديقه خالد على الشاشة، فأغلق الخط وعلم أن خالد بانتظاره خارج المنزل، وانتهى فأغلق باب منزلهِ ونزل درجات السلم ليركب السيارة، وكعادته يجلس على الكرسي الأمامي وانطلقا..

وصل المستشفى في الميعاد، واعتلى درجات السلم، ودلف إلى الداخل، ظل يسير في ممرات المستشفى الطويل ذاهبًا إلى مكتبهِ، وما أن رأى ليلي حتى قال: كيف حالك يا ليلي؟

ردت مُبتسمة: بأفضل حال الحمد لله يا دكتور..

وسألها: وكيف حال وصال؟

قالت: الخطة قد نجحت بالفعل، فقد تأثرت تأثرًا كبيرًا بخبر موت الأستاذ حسين!!

رد بابتسامة واسعة: الحمد لله طمأنتيني..

وسألها: هل يعرف أحد غيرنا؟

ردت نافية: لا أبدًا، لا يوجد غيرنا والجدة فقط..

قال مُطمئنًا: اممم حسنًا، لا مُشكلة، التزمي بدوائها جيدًا، ولا تذكري اسم الأستاذ حسين أبدًا أمامها..

ردت بالإيجاب: حسنًا يا دكتور، ولكنها تأبى تناول الدواء!

قال بنبرة هادئة: لا مُشكلة، اصبري قليلًا حتى تهدأ..

قالت: حسنًا يا دكتور، أستأذنك.

انتهي من الحديث معها، وجر قدميه ليسير إلى مكتبهِ، فما أن وصل ودخل حتى قال خالد سائلًا: هُناك شيء لا أفهمه!!

رد ياسين رافعًا حاجبه: ماذا؟

قال سائلًا: الحديث بينكَ وبين المُرضة لم أفهمه!!

قال ياسين ضاحكًا: اممم لمَ رميت أذنك؟

قال بجدية: فلتُخبرني!!

رد ياسين باسمًا: سأطلعك على كُل شيء لكن عدني أولًا ألا تبوح لأحد بذلك!!

قال خالد بنظرة ثابتة: أعدك.. هيا تحدث!

أخذ ياسين نفسًا عميقًا وقال بعد أن ترجل من مجلسه:

أنت كما تعلم، فطُرق العلاج التقليدية المعروفة لكل الأطباء النفسيين والتي يستخدمونها في جميع الحالات وجميع فترة العلاج..

رد خالد غير فاهمٍ: لا أفهم، فلتوضح أكثر!!

قال ياسين ضاحكًا: أعلم أنك ذو رأس كلب!!

وأردف: حسناً فلتُعْمِل عقلك معي قليلاً.. أنت تعلم أن المرض النفسي خطير للغاية، لذلك نجد المريض النفسي يصل إلى درجات عالية من اليأس، ووقتها تكمن الخطورة هُنا، فقد يفكر المريض في التخلص من حياته بصورة نهائية وهو الأقرب للانتحار.. ويحدث هذا نتيجة لحدوث انحراف ما، أو نتيجة الوقوع في أزمة ما، أو التعرض إلى صدمة فادحة أو ما إلى ذلك من الأمور الصعبة التي قد تُنهي حياة الأنسان، والتي تواجهه في حياته اليومية..

قاطعه خالد لوهلة: وما علاقة ذلك بالمريضة التي نتحدث عنها؟

رد ياسين مُقهقهًا: ألم أقُل لك أنك أحمق!!

وأسهب: أنت تعلم أن طُرق العلاج اقتصرت على أشياء تقليدية يستخدمها ليس الطبيب النفسي بل المريض ذاته! يأتي بأحد من أصدقائه ثم يبوح له بكل ما يحمله من ألم وحُزن فيقوم الطرف الآخر بتهدئته والقيام بنصحه عدة نصائح بلهاء لا قيمة لها!! إذن هُنا ما الفرق بين الطبيب النفسي والصديق الجيد؟

رد خالد: وفق كلامك فكلاهما واحد هُنا!!

رد ياسين: نعم، هذا صحيح، لذا جلست ساعات كثيرة للتفكير في أشياء عديدة وجديدة، حتى لا تكون تقليدية..

رد خالد مُستفهمًا: ما هي؟!!

قال ياسين: هي أن أقوم باختراع شخصية جديدة ومحورية ليست لها دور في حياة المريضة ولا الطبيب، لا يعرفهُ أغلب المُقيمين داخل المُستشفى ويجلس في وقت محدد له ويذهب في وقت مُحدد!!

قال خالد شاردًا: وكيف ذلك؟

رد ياسين: أتعلم من الرجل الكبير الذي كان يجلس دائمًا أمام المُستشفى ومعه راديو قديم ينطق بأغانٍ لأم كلثوم!!

رد: من؟!!

رد ياسين بعد أن جلس مرة أخرى:

أنا هذا الرجل، وأنا من قمت بوضع الخطط والتوقيت، وكيفية ظهوره وكيفية موته!

قال خالد وعيناه تكاد أن تخرجان من مكانهما: أنت؟!!! لكن لم تُخبرني ما الهدف من كل ذلك؟!!

قال: عندما رأيت هذه الفتاة للمرة الأولى، عرفت أنها لن تتحدث بكل سهولة، وأن من الصعب الحصول منها على أية معلومات أو أي شيء عما مرت به، هي فتاة غريبة من الطبقة الأولى، قد تبتسم للحظات ثم بعد ذلك دموعها لا تجف!! ففكرت في كيفية التعامل معها، ولم يكن الحل لعلاجها سوى هذه الطريقة. وقد أثر بها هذا الرجل تأثيرًا كبيرًا، لذلك وضعت قدمًا لنجاح هذا التخطيط..

رد خالد وعيناه تفتخران بياسين: لكنك لم تقل لي عن كُل هذا!!

رد ياسين سائلًا: مُنذ متى ونحنُ نتدخل بالعمل يا صديقي..

قال خالد: لكن هُناك شيئًا لم أفهمه!

رد ياسين: ماذا؟

أجاب: لقد علمت بموت هذا الرجل مُنذ أيام!!

قال ياسين ضاحكاً: نعم، ألم أقل لك أنا من أظهرهُ وأنا من قتلهُ!! كل شيء مُدبَّرا وكل شيء مكتُوب، المُهم هو النتيجة!!

رسالة رقم (٦)

"كيف يضع الإنسان رأسه على وسادتهِ بكل هدوء، وهو كاسر خاطرًا، قلبا، نفسا، بل وكاسر حياة شخص ما، كيف تنام؟!"

رسالة رقم (٧)

"الذكريات تخدير مؤقت للقلب"

رسالة رقم (٨)

"هذه الرسالة لقلبك مُباشرة:هل ستظل هكذا؟"

تأبى الحروف والكلمات أن تخرج من الأفواه مُعلنة حُزنها الشديد، حالة من الكبت والصمت والألم تزداد تدريجيًّا، وتستكمل طريقها في تفتيت القلب، وقتل النفس وضربها ضربًا مُبرحًا، لتظل تتألم حتى تستقيم الروح إلى خالقها، نسأل أنفسنا مُستفهمين؟ إلى متى ستستمر الجراح في السيطرة على شُرفات القلب؟ إلى متى سنظل جالسين في غرفتنا مُتعلقين ومتشبثين بوحدتنا، مُقسمين ألا نُفارقها مهما حدث!! لأنها كانت خير رفيق في هذه الدُنيا، من المُمكن أن تكون رفيقا سيئا، لكن ليس كاذبًا، بل يُظهر لك جميع أوجاعك والآمك، أصبح جميع الناس بلا استثناء يمرون بكَ، ويفعلون ما يشاءون داخلك، ثم يذهبون، وأنت ماذا تفعل غير الصمت؟

علت الشمس بعد لملمة القمر خيوطه ورجوعه إلى مسكنه، تفتح السماء ذراعيها لتحتضن الشمس وتستقر فيها، تتراقص نغمات أم كلثوم على أوتار الصباح، فتعطي أملًا وابتسامة واسعة تحمل كثيرًا من المعاني، رائحة الأزهار يفوح عبيرها، وتخترق الأنف، هي لحظات من النقاء الداخلي الممزوج بالراحة النفسية..

لكنها بلا شك، لم تكن لحظات سعادة بالنسبة لوصال، بل كانت لحظات مُهلكة للغاية، إذ جثم شبح من الصمت الطويل، وطلت لحظات من الصدمات المُحملة بالمعاني وعدم تصديق النفس والشعور باللا شيء،

ضج الصدر بالكلمات القاسية التي تريد الحُرية، وأَبَتِ النفس سماعها حين يقسم قلبها أن آلامه لم تعد تُحتمل، وأنه على مشارف الموت والتوقف، تتسابق عقارب الساعة وحرارة الشمس مع الصمت والسكون وإدراك ما يحدث، لإهلاك كل شيء حولها، حاولت أن تنظم أنفاسها التي اُحتجزت داخل حلقها، وأقسمت ألا تخرج، لكن تستسمح قلبها الطيب للخروج، هي في حالة حرب وصراع، لكن بلا أدنى شك هي المهزومة والمقتولة، في جميع الأحوال تشعر أن كل شيء مُدبر، وأن حياتها اتفقت مع الحُزن والألم حتى تقع فريسة لهما، تحاول دموعها أن تنزل من مقلتيها، ولكن تشعر أنها جفت بداخلهما..

انهال العرق نزولًا من جبينها مرورًا بخديها الحمراوين مُداعبًا بشرتها البيضاء ساقطًا على أرضية الغرفة، وتجر قدميها التي توقف رفضها بالذهاب بسبب حالة صاحبتها إلى مرآة صغيرة داخل الغرفة، تضع رأسها في حُضن زجاجها وتغمغم مع نفسها:

لم يعُد عقلي قادرًا على إدراك ما يحدُث، لم يعُد هناك مكان للمنطق حتى يُفسر، أصبحت الأيام تأتي بسوادها حتى تقتل كل ثانية من حياتي البلهاء المُميتة، هل أكسر رأسي بهذا الحائط وأموت؟ لكن ليس هناك راحة!! بل ما هو أصعب من هذه الدنيا بأكملها. اختفت ملامحي، واختفت

هيئتي، تجمدت نبضات قلبي الواهنة، بَهَتَ لوني، خَفَتَ صوتي وضعف، أقسم الحُزن والألم ألا يُفارقاني، لم يعُد في شفتيَّ سوى هاتين الكلمتين، كأنهما خلقا لي فقط!

دبيب السنوات، ألم الأيام، قسوة الساعات، قتل الدقائق، عنفوان الثواني، حتى اللحظات أصبحت جميعها للانتقام مني فقط! لا أعرف هل فعلت شيئًا خاطئًا وأعاقب عليه؟ هل أذيت أحدًا دون قصد؟ هل تفوهت بكلمات أحزنت أحدًا؟ ماذاااا يحدث؟!! فليقل لي أحد ماذا يحدث؟!! هل في الحُزن راحة؟ سئمت من قول أن غدًا أفضل!! سئمت من هذا الرفيق الذي يُسمى الحُزن!! سئمت من نفسي!! سئمت من ضعفي!! تضغط على رأسها بكل ما لها من قوة وتستكمل:

لماذا يراني ضعيفة هكذا ولا يُنقذني؟ أعلم أنني مُقصرة في حقك، وأنني غير قريبة منك! لكن أنت الله! أنت الرحيم! أنت الذي وسعت رحمتك كل شيء!! أنت تستطيع تغيير الكون بأكمله في لحظات! ألن تغيِّر لي حالي!! ألن تنقذني من هذا البئر العميق؟ ألن تغيثني!

***

"وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"

ليس لي سواك يا الله، أنت أملي ورجائي وطلبي، أعلم أنك تختبرني بشدائد الأمور، وأنك تريدني أن أتقرب منك، أعلم أنك تُحبني ولا تريد رؤيتي هكذا، لكن بنفس راضية لحُكمك، وأملٍ في تخفيفه صابرة على ابتلائك، قوية ثابتة، وأن هذا الامتحان سنتك، ولا لسنتك تبديلا، سأجعل الفرح شُكرًا والحُزن صبرًا، أثق بك يا الله، وأثق بدوائك، وأنك ما وضعت داء إلا وله الدواء، وما وضعت الحُزن إلا وله السعادة، وما وضعت الألم إلا وله الاستكانة.

"للألم أمل في إشباع جراحك"

تجلس، تقف، تذهب يمينًا ويسارًا، تجلس مرة أخرى، تقف، تذهب، تدور الدنيا من حولها، يُصيبها ألم شديد برأسها، تطلق شهيقًا عاليًا، تخرج ما بها من ألم، تحيط يداها برأسها، لم تعُد تسيطر على جسدها، وعلى وشك أن تقع، تشعر بيد تسندها، إنه الدكتور ياسين، فيقول:

فلتهدئي.. وحملها ووضعها على السرير، ناظرة إلى عينيه فاستكانت وهدأت.

قال: ماذا بكِ؟

لم ترد، ونظرت بجانبها ودموعها تُسبقها..

قال ماسحًا دموعها بيده: اهدئي، لا يوجد شيء يوازي دموعكِ..

قالت: لا شيء؟ لم تتوقف دموعي مُنذ وفاة أبي وأمي، فاكتملت بكسرتي!!

رد: هكذا هو حال الحياة، لا تُعطيكِ كُل شيء، ولا تأخذ منكِ كُل شيء..

أجابت مُسرعة: لا.. لقد أخذت كُل شيء!! لم تترك شيئًا سوى الآلام فقط!

رد باسمًا: إن كانت أخذت منكِ، فستعطيكِ أملًا لتحيي به..

قالت غاضبة: أي أمل تتحدث عنه؟!! أتظل الحياة تأخذ كُل سعادتنا، ثم نعود كالأغبياء لنتمسك بأمل وهمي لا أساس له؟!!

أجاب: لا يوجد أمل وهمي وأمل حقيقي، نحن من نُحدد إذا ما كُنا نُريد هذا الأمل أن يكون وهمًا أم حقيقة..

وأكمل: بالمناسبة أنا أيضًا أمي وأبي متوفيان!!

قالت وعيناها تلمعان من الدموع: الأمل ما هو إلا حياة أُخرى نعيشها تاركين واقعنا الصلب الذي لا سبيل لنا به، فنقوم باختراع أملٍ مُزيفٍ..

قال باسمًا لتظهر ملامحه: نحن مُجهدون بسبب الحُزن والألم، على أقل تقدير استطعنا أن نُجهد في شيء آخر..

وأسهب: هُناك من يصنع في قلبي الأمل دائمًا..

قالت بعد أن انزاح القلق قليلًا:

هذا يعني أن السبب بنا؟

رد: بالطبع نحن السبب في كل شيء، نحن من نختار بأيدينا في أي طريق سنسير، بأي شخص سنتعلق؟ بأي حياة سنحيا؟ بأي قلب نُحب!!

قالت ووجنتاها قد وشمتهما الشمس:

لكني لستُ السبب في ملازمة الألم لي!!

أجاب وهو يبتسم ابتسامة عابثة:

من السبب إذن؟ السبب بكِ أنتِ ولا أحد غيركِ.. لو تركتيه يذهب لذهب! لكن أنتِ مُتشبثة بالحُزن، وتركتيه يتوغل في قلبك، ويفرض هيمنته وسيطرته على منافذه!! حاولي ألا تُفكري به! حاولي أن تستكملي حياتك بواقعها هذا!! لا سبيل لكِ في تغيرها!! فلترضي بما كتبهُ الله لكِ!!

ردت بعد أن اعتدلت في جلستها: أنت شخصُ غريب، تظهر في أوقات غريبة وتختفي أيضًا في أوقات غريبة؛ لا أفهمك!!

رد ضاحكًا: هذه طبيعتي..

قالت في خجل: هل يُمكنني أن أسألك سؤالًا؟

رد: بالطبع تفضلي.

قالت: ما الفرق بين خبايا الماضي وألم الحاضر بسبب هذا الماضي؟

ارتاع قلبه برهة وقال: هذا سؤال صعب..

وأكمل: اممم.. الماضي صفحة طواها الحاضر هو سبب كل شيء! وأي شيء! شعور ساحق للرأس، ممزوج بألم نصفي حاد، مرورًا بحادث أليم متوقف على قتلكِ، هو ضيف ثقيل للغاية يأتيكِ دون ميعاد أو توقيت يوميًّا، بلا ملل يجذبك إلى دائرته ويحيط بكِ، وينهل عليكِ بذكريات أليمة حاولتِ لسنوات نسيانها، لكن المُشكلة تكمُن في أن لا أحد يستطيع مواجهته!! لا أحد يمتلك الجرأة لذلك، ولذا نلجأ جميعنا إلى الهرب منهُ، لكن لا أحد يُفلح في ذلك أيضًا، لكن لا شك أن بهِ ذكريات رائعة أيضًا قد يتذكرها العقل لوهلة، ثم تتبدل فورًا إلى ما يؤلم الفؤاد والبدن..

أما الحاضر، فلا يوجد أسوأ من ذكريات ماضي تحاصر حاضرنا، وتعرقل مستقبلنا، وتأكل ما تبق منا، وبغض النظر عن طريقة تعامل كل منّا مع ماضيه، فهناك من يبقى أسيرا لتلك اللحظات المؤلمة، وهناك من يتذكرها بين الحين والآخر، وآخرون من يجاهدون سنوات للقضاء عليها، وآخرون يستسلمون ويسلمون أنفسهم للذكريات مثلكِ أنتِ، فيمكن تفادي الحاضر من خلال مشاغل الحياة، وكثرة الصدمات وغيرها، لكن ما أن تجلس وحيدًا حتى تحضر لك مجموعة من الذكريات التي تجعلك لا تنام من كثرة التفكير!!

وفي نهاية الأمر: كلا الاثنين مُهلكان، ومن يفكر بهما قد يخسر ما تبقى من حياته للأبد..

ردت: هذه إجابة رائعة..

وقال ضاحكًا: لا تُدخليني في علم النفس، كفى ما فعلهُ بي..

ضحكت فأعلنت أسنانها الظهور لأول مرة منذ شهور كثيرة فقال:

أنتِ تضحكين مثلنا؟

ردت في خجل: نعم، فأنا بشرية..

قال باسمًا: لا تُخفي ابتسامتك؛ إنها رائعة!

احمرت وجنتاها في خجل وقالت: أتمنى أن تظهر من الأساس!

همس برفق ولم يلتفت لكلامها الأخير:

التزمي بدوائك، ولا تدعي شيئًا يؤثر بكِ، واستمدي قوتك لتنهضي!!

ردت باسمة: شُكرًا لك..

وغادر الغُرفة وتركت آخر كلماته نغمًا موسيقيًّا انساب داخلها طربًا، وقفت واقتربت من الشُرفة لتُداعب شمس الظهيرة بشرتها البيضاء، خالجها إحساس مثُير للشغف، نفضت عن رأسها ما تحملهُ من أفكار، وسارت بخطوات ضئيلة لتذهب إلى الحمام.. وقفت تحت الماء لتخترق قطرات الماء جسدها في قوة تشعر أن روحها رُدَّت إليها بعد أن ذهبت إلى

مكان بعيد. تركت الماء ينقض على رأسها لعله يُبعد عنها هذه الأفكار التي لابستها، تستكين روحها وتحاول أن تُبعد الحُزن قليلًا، فتترجاه أن يبتعد الآن ويأتي في وقت لاحق، لكن يأبى أن يُفارقها..

"يُمكن أن يكون الحُزن رفيقا سيئا للغاية، لكنهُ لا يُفارق!"

تسمع صوت جدتها تناديها، فتلملم هدوءها في استكانة، وتنتهي وتخرج، وقطرات الماء ما زالت مُلتصقة بجسدها الواهن، تنظر إليها جدتها وعيناها تلمعان أملًا وقالت:

يا إلهي!! لم أرَ وجهك يُنير هكذا مُنذ سنوات!!

ردت باسمة: لا يا جدتي، عيناكِ هما من تجملاني..

قالت الجدة: كيف حالك يا حبيبتي!! اشتقت لطبخكِ السيء وشغبكِ وعبثكِ!!

ردت: أنا بأفضل حال يا جدتي، لكن طعامي لم يكُن سيئًا إلى هذه الدرجة!

فضحكت جدتها وقالت: عودي إليَّ يا ابنتي، وسنفعل ما تشائين!!

قالت برفق: إن شاء الله..

انتهت من حديثها مع جدتها بالإضافة إلى طعامها، جلست على الفراش قليلًا وانتقلت إلى مكانها المُعتاد، لملمت ذكرياتها جميعًا وقذفتها على

الكرسي، وجلست عليها حتى استكانت وابتعدت، نظرت إلى الفراغ أمامها، فتذكرت هذا الرجل، فشعرت بالحُزن وطأطأت رأسها، ثم تذكرت حديثها مع أبيها: أبي، حدثني عن الحياة!!

رد أباها بعد أن قبلها على جبينها:

حال الدُنيا غريبٌ يا ابنتي، قد تعيشين أيامًا كاملة لا يسيطر عليها سوى الحُزن والألم والقلق، ثم بعد دقائق تنقلب اللحظات الأليمة إلى لحظات سعيدة دون فعل أي شيء منكِ!! لكنها قاسية للغاية وتضعنا بأشياء صعبة صعب مواجهتها!!

ردت سائلة:

ألم تقل لي يا أبي أن الدنيا تضع لكل شخص ما يستطيع أن يواجهه؟

رد:

نعم يا ابنتي، لكن هُناك من يتحمل فوق طاقته حتى ينزف ألمًا وتعبًا وأنينًا!! والدنيا لا تُعطيه فُرصة حتى يُلملم أوراقه المُبعثرة ويخرج من صدمتهِ الأولى، لكن ما يحدث أنه يواجه صدمة تلو الأخرى، فماذا يستطيع أن يفعل الإنسان حينذاك! بعد كُل صدمة علينا الهدوء والراحة الطويلة حتى نستطيع أن نلملم أنفسنا، ونراجع ماذا حدث! وأين واقع تأثيرنا! وأين نُقطة ضعفنا!!

قالت سائلة: للإنسان نُقطة ضعف؟

أطلق ضحكًا عاليًا: نقطة ضعف الإنسان دائمًا هي الحُب فقط!!

قالت غير فاهمة: الحُب؟ أهو مُشترك في كُل شيء!

قال: نعم يا ابنتي، هو كل شيء وأي شيء في كل وقت وكل حين!!

من يُحب يُصبح له نقطة ضعف! فلولا الحُب في حياتنا لَمَا كُنا حيينا أبدًا، فهو البداية لُكل شيء، وعندما ينبض قلب الإنسان لشخص ما، حتى لو كان ذو قوة وهيكل بدني كبير!! فنقطة ضعفهُ هُنا قلبهُ فقط!!

قالت: وهل يستطيع أن يحيا الإنسان بدون الحُب؟

رد باسمًا: مُستحيل! لا يستطيع أن يحيا أحدٌ بدونهِ يا ابنتي، وخير مثال على ذلك؛ عندما يلتحق أحد بعمل جديد ولا يُحب هذا العمل، فهل سيؤديه بالجودة نفسها مقارنة بمن يُحب العمل؟

قاطعته: لا طبعًا..

أكمل: هكذا الحُب يا ابنتي، هو أمر واجب ولازم في الحياة، حتى الإنسان الذي لم يُحب من قبل، ما زال ينتظر دوره من قصة حُب يكتُبها التاريخ يومًا!!

ردت باسمة: أنت فيلسوف يا أبي..

فضحك وضمها وقال: لنرى فتاتي الصغيرة ماذا ستكون في الحياة!!

"كذب من قال:

ليس للحب جزءًا من حياتي، بل هو كُل الحياة يا صديقي"

حملت ذكرياتها المُتشحة بالسواد المميت التي تأبى الذهاب، وأقسمت ألا تُفارقها وأن تزورها بين الفينة والأخرى، وقامت لتجلس على فراشها الوردي ذا الخلفية السماوية، استكانت واستكان ضجيج قلبها الذي لا يهدأ أبدًا، لملمت أطراف جسدها المُتهالك في سكينة وهدوء، شهقة حنين تخرج من أنفاسها، لتسمعها جُدران غرفتها فتشفق عليها هذه الغُرفة التي هي خير رفيق في الضراء قبل السراء، تحملتها في طي أيامها المريرة وفي أسوء حالاتها، وأيضًا تحملت شهقات من الألم ممزوجة بشهقات من الخوف ممُتلئة بشهقات من الجراح، وابتسامة ضئيلة في وسطهم بسريرها المُرتب بعناية شديدة، ووسادتها التي جفت الدموع فيها، وتمزقت أركانها من فرط الحُزن وأنين الذكريات التي تستلقي بجانبها وتتمدد علي هذا الفراش وكأنهُ بيتها، الذي يأبى الشكوى أبدًا، بل يظل يحتمل حتى يكاد ينفجر من فجاعة الخيبات المُتتالية بكثرة، حتى اختلطت عليه الأمور، ولم يعد يستطيع تفسير الأحداث، أهذه خيبة جديدة؟ أم صدمة أخرى من صدمات الحياة؟ أم أزمة أليمة تتلملم حول رقبتك؟! وهذه الجُدران التي تظهر لأي شخص أنها قوية ثابتة، لا تستطيع الانكسار، ولكنها من الداخل هشة للغاية يؤلمها

أبسط الأشياء! وهذه النافذة الكبيرة من الزجاج بيضاء اللون التي أسدلت عليها ستائر تكاد تلامس الجليد بنسائم هوائها، وتُقل ليلها وحرارة شمسها، وأكثر من ذلك احتوائها، هي حقًّا غُرفة ذات أصل طيب.. التفتت للطرقات العالية على باب الغُرفة، ودخلت ليلى وكانت علامات وجهها لا تبدو عليها الخير..

فقالت وصال: ماذا هُناك!!

ردت: دكتور ياسين!!

قالت: ماذا؟

ردت واعتلت ملامحها الحُزن:

لقد تعرض لحادث كبير!!

*****

رسالة رقم (٩)

"الْحَياة هيَ حَقيقَة تَعُج بِالْألَم"

رسالة رقم (١٠) ..

"غُرفتكَ هيَ رَفيقكَ الْجَيد الْذي لَا يَمَلُّ مِنْكَ أَبَدًا"

رسالة رقم (١١)

"تَذكْر دائمًا؛ قد تكون النهاية هي بداية الحقيقية لكل شيء"

يأتي الليل البهيم بظلامه وخيوطه المُنسدلة على الأرض التي تنتشر في كل الشوارع والجُدران، وهذه المرة كان أثقل على النفس وأشرس على الفؤاد، لم يأتِ كعادته لذكريات قاسية يُمكن تفاديها بالنوم، بل جاء بنوبة من الهلع والخوف، وأصبح من ظلام للذكريات المؤلمة لظلام غير المتوقع!!

لم يستطع ياسين تفسير ما يحدث له، لم يجد الكلمات المُناسبة التي تُعبر عن حالته للبوح بها، مشاعر كثيرة تختلط داخله، لا يستطيع السيطرة عليها واضعًا يده على رأسه حزين الوجه جريح الملامح قلق الهيئة على الكُرسي أمام غُرفة العمليات في انتظار من يخرُج لينقذه من نفسه مُحدثًا إياها: ماذا تُريدين مني في هذا التوقيت؟

قالت نفسه: أنت تُحبها!

قال في غضب: لا أعرف، لا أعرف، فلتدعيني وشأني الآن!!

قالت النفس: لمْ ينبض قلبك يومًا لأية فتاة. ومن حديث واحد ينبُض؟

قال: بل بنظرة واحدة فقط!! لا أعرف أأحببتها أم ماذا؟!! لا أعرف شيئًا!!

قالت سائلة: إن لم تكُن تُحبها، فلم كُل هذا القلق الذي يعلو وجهك؟

ضغط بيده على رأسه بقوة وقال: فلتصمتي!!

ردت: لن أصمت حتى أعرف!

قال ياسين بصوت عالٍ: هيا ابتعدي من هُنا! ابتعدي!

لمح خالد تغيُّر حال ياسين وصوته العالي وغضبه الشديد وسأله: ماذا بكَ؟

رد ياسين بعد أن عاد إلى رُشده: ها؟ لا، لا شيء، أنا فقط مُرهق..

سأله خالد: لم تُخبرني من هذه الفتاة التي تجعلنا جالسين كل هذه الساعات من أجلها!!

قال بتلعثم: هي.. هي صديقة قديمة..

وأكمل: فلتذهب أنت إلى البيت وأنا سأطمئن عليها وأذهب..

قال خالد مُتعجبًا: لن يسمحوا لك بالدخول! ما زالت في غرفة العمليات أمامنا ساعات أخرى!

قال ياسين بعدما نفدت طاقته: اذهب أنت سأنتظر هُنا..

قال خالد: هي تهُمك أليس كذلك؟

رد ياسين مُسرعًا: نعم، للغاية..

قال خالد بابتسامة: إذن لن أذهب من أجلك يا صديقي..

لحقت كلماته ابتسامة ياسين الصفراء، ولكزه في كتفه لكزة صغيرة، فضحك خالد، وما أن التفت ياسين حتى فُتح باب الغُرفة، وقام بكل ما أوتي من سُرعة لينقض على الطبيب قائلًا: هيا اخبرني كيف حالها الآن!!

قال الطبيب: ويحك ويحك، ما زالت بحالة غير مُستقرة..

قال ياسين: انقذها وإلا نزعت عينيك من مكانهما!!

قال الدكتور خائفًا: سأفعل كل ما أقدر عليه..

سأله ياسين: أريد أن أراها!!

قال: ليس الآن، حالتها خطرة!

كظم ياسين غضبه وقال: متى يُمكنني رؤيتها؟

رد: بعد يومين على أقل تقدير!

أمسك ياسين عنق الدكتور، وكاد أن يقتله لولا تدخل خالد، فهدأ من روعه وذهب الطبيب بعيدًا بعد أن قال في نفسه: ما هذا المجنون!!

وجلس كلٌّ منهما على الكرسي وباغته خالد بابتسامة خبيثة:

من الواضح أنها ليست بصديقة قديمة..

رد ياسين بعين تهرب من أعين خالد:

لا، هي مُجرد صديقة لا أكثر، ولكنها مُقربة للغاية..

رد خالد: اممممم، سأحاول تصديقك..

تتوالى الساعات، وتتصارع عقارب الساعة على بلوغ مكانها، يجثم شبح الصمت في ذاك التوقيت على أروقة المُستشفى، تشعر بالحزن الشديد وتأبى إضاءة الممر، يملح ياسين صديقه خالد وقد غفل وهزمه النوم، قام من مجلسه بهدوء شديد، سار بخطوات متهادية يتسلل خلسة دون أن يراه أحد، يقترب من غُرفتها، تعلو ضربات قلبه، فيفتح مزلاج الباب في حذر، ويُدلف إلى الداخل، أقترب منها وجلس على الكُرسي، ونظر إليها بخصلات شعرها الملقاة على الوسادة، وتورم عينيها المُتهالكتين، واصفرار وجهها كأن هُناك من اختطفه، يمُد يدهُ ليُمسك يدها برعشة خفيفة، ويُحدثها بعينين يخرج منهُما نور حزين:

في الحقيقة أنا أؤمن بالأسباب، ولست هاوٍ للصدُف، لكني لا أعرف بماذا أبدأ، أو كيف أبوح بما تشتهيه نفسي، لكن كُل ما أشعر به هو أنني أحتاجُ إليكِ، أحتاج أن أرى هاتين العينين يوميًا، أن أرى ابتسامتك التي تخطف كل من تواجد على الكُرة الأرضية.. أرجوكِ لا تكوني مثلهم!! لا تذهبي!! لقد ذهب كل من أحببته!! جميعهم تركوني بالمنتصف، لا أعرف ماذا أفعل، أستكمل طريقي أم أتراجع بخطواتي إلى الوراء تاركًا كل ما بدأتهُ، ضربتني الحياة بأقصى ما عندها من قهوة، حتى أماتت رغبة العيش داخلي، لكن تلاشى كل ذلك فور رؤيتك!! إن قلت لكِ أني أُحبكِ فكل ما

سيدور في ذهنكِ أنني بمجنون!! لكنها الحقيقة ولا بُد من الاعتراف بها مهما حدث..

وأكمل بعينين تقطران حُبًّا:

أشعر بكِ، وأشعر أنكِ تسمعينني، وإن كان شعوري خاطئًا فيكفي أنكِ تشعرين بي، فلتبقِ قوية أرجوكِ، فلا سبيل لي في خسارة أحد آخر!! لم يعُد هناك مكان لِتَلَقِّي ضربة أخرى!!

"عندما يُكسر قلبك مرة، فإنه لن يقدر على تحمُّل الثانية، وإن حدثت الثانية واستطاع أن يخرج منها، فستتجمد مشاعرك وتتوقف نبضات قلبك، ويطير منك الشغف، وسيصبح حينها كل شيء فاترًا باهتًا لا طعم له"

يسود الاضطراب المكان بعد أن حل مكان الهدوء، يضيق اتساع الغُرفة من حوله، ويسمع ضربات قلبه وهي تتعالى مع كل كلمة تخرج تأمره ألا يتوقف، وأن يتكمل، لكن يأبى لسانه الحديث، وتنكمش حبات العرق وتهرول مُسرعة لأخذ مكانها على جبينه، ينظر إلى عقارب الساعة المُعلقة على حائط هذه الغرفة القاتمة، إذ تأبى أن تتقدم، وتشعر وكأنها اتفقت مع الزمن حتى يتحدث، ما زالت يداه تحوي يديها الصغيرتين وتعتصرهما حُبًّا، ثم رفع يده ليلطمها على خدها برفق، ويحثُها أن تستيقظ ليعرف اسمها على الأقل، يشعر أنها تحتاج إلى الراحة، وقرر أن يتركها قليلاً ويأتي في وقت

لاحق ليطمئن عليها، يُزيح يده من على وجهها ووقف، وتأهب للخروج وسار نحو الباب، وقبل أن يفتحه سمع صوتها يقول: انتظر..

التفت وهرول إليها مُسرعًا وقال: يا إلهي أخيرًا!!

نظرت إليه بعينين مُرهقتين وقالت: لقد سمعتُكَ!

رد بخجل: اممم وماذا بعد..

قالت بابتسامة تُعبر عن مدى مرضها: أنت مجنون للغاية..

وقبل أن يرد قالت: ولكن أنا أكثر منك جنونًا..

قال بعد أن اقترب منها: وكيف ذلك؟

قالت وهي تنظر إلى عينيه مُباشرة: أنا أيضًا يمكنني القول أنني أحببتك منذ النظرة، الهفوة، اللحظة، الكلمة، الأولى، لا أعرف كيف، ولكن هذا ما حدث!!

وأكملت سائلة: ماذا إن كان ردي بالرفض؟

قال: ليس المُهم ردك! لكن المُهم هُنا هو أنني امتلكت الجرأة وتكلمت!!

قالت: كيف تحب شخصًا رأيتهُ مرة واحدة فقط؟!!

قال وهو يُمسك كفها برفق: أنتِ لستِ شخصًا.. أنتِ أجمل من رأت عيناي!

احمرت وجنتاها خجلاً وقالت: اممم أتُغازلني إذن؟

قال ضاحكًا: اممممم نعم، أُغازلك..

وأكمل سائلًا: ماذا ستفعلين إذن؟

ردت: سأقتلك..

ضحك عاليًا فبانت ملامحه وقالت: لأول مرة أرَى القمر نهارًا!!

نظر إليها بعينيه الواسعتين وقال: لن يكتمل القمر بدون نجومه، فلتقم نجمتي لنكتمل معًا..

وأكمل: عفوًا ! أتغازلينني!

ابتسمت فظهر احمرار وجهها: نعم، مع سبق الإصرار والترصد..

قال باسمًا: اممممم سأقتلكِ..

قال سائلًا: لم أعرف اسمكِ إلى الآن؟

قالت: اسمي أنين..

رد: أنين..

قالت: نعم، وأنت ما أسمك؟

قال: ياسين..

قالت: أسماؤنا على نفس النغمة الموسيقية..

أمسك كفها أكثر، ووضع يده على عينيها وقال:

لو قلت لكِ تمني أمنية، فماذا ستتمنين؟

قالت باسمة: امممممم سأفكر..

وقالت بعد دقائق: سأتمنى أن أموت وهذه اللحظات معي للأبد..

رد غاضبًا بعد أن أبعد يده: ابتعدي لن أحدثكِ ثانية..

همست برفق بعد أن أمسكت بكفه هذه المرة:

فلتفهمني أولًا.. دائمًا بعد اللحظات السعيدة، تأتي اللحظات الحزينة باسطة يديها تحيط بك، فأنا تمنيت ألا تزول اللحظات السعيدة أبدًا، وهذا لن يحدث إلا بالموت فقط!!

رد: أتعلمين!

أنا دائما أحبذ اللحظات الحزينة، لأني أعلم أن ما سيأتي بعدها دائمًا هو شيء سعيد للغاية ينسيك ما حزنت لأجله..

قالت: قال الله تعالي: "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"

إن لهذه الآية في القلوب مكانةً عظيمة، ولها في النفوس منزلة عالية، وذلك لأن الله قد وعد هُنا!! فما بالك أن يَعِدَنا الله!! هل يُمكننا التشكيك في ذلك!! وَقْعُ هذه الآية على الأفئدة كوَقْعِ الدواء النافع على الجرح الغائر..

ففي هذه الآية من النفحات العجيبة، التي تُزِيل هذه الوطيئة وترفعها، إذ لا مكان لليأس بها، ولا مكان للشدة والمصيبة، فذكر عُسر وبعده يُسر بيان أن الشدة لن تدوم، بل سيأتي بعدها رخاء، وأن الألم لن يظل، بل سيأتي بعده حياة، وأنه لا يدوم الحال بحال، وأن الأيام تتعاقب وهي دول..

"ثق بالله دائمًا وتيقن الإجابة"

قال باسمًا: ونعم بالله، أحسنتِ الرد..

واقترب منها وقبلها على جبينها وقال: حفظك الله لقلبي..

قال كلماته الأخيرة وطلب منها وعدًا أن ترتاح، وأن تعود إليه، وسيكون بانتظارها، وقبل أن يخرج نظر إليها، فكانت المفاجأة..

قالت بصوت أجش: انقذني!!

سمع صوت أنفاسها وهي تحاول إخراجها بصورة طبيعية، تعرق بغزارة شديدة للغاية، أخذت تنزف من أنفها، وبعد لحظات تقيَّأت دمًا، وتحول لون السرير من الأبيض إلى الون الأحمر، رفعت يديها للوصول إليه وملامسته، ولكن لم تفلح، هاجت الغرفة، ولم يعرف ماذا يفعل، وكأن الدنيا بأكملها توقفت، فأسرع للاقتراب منها.. وصاح بصوته عاليًا!!!

***

رسالة رقم (١٢)

"الحُب سبب، والألم نتيجة، فلمَ تحزن من اختيارك للسبب؟"

رسالة رقم (١٣)

"واهمٌ من يثق بطي النسيان"

رسالة رقم (١٤)

"الحُب أكبر من أن يدُركه المنطق"

أنزل الصباح وجها من وجو الأمل؛ فخرَّ الإحباط والتراجع طريحًا الأرض، استيقظت الأشجار واستقبلت قطرات الندى، فأيقظت ما غفل من أوراقها، وانتشرت أشعة الشمس الصباحية مُعلنة عن بداية يوم شديد الحرارة، وتتلهف لمن تضربه أولًا، وقامت الشمس بالطرق على النوافذ والجُدران والشوارع حتى يستيقظوا لبداية هذا اليوم.

من مسئول عن حياتك، قرارك، آلامك، طريقك، تدميرك؟ أنت من تتولى أمورك، وحدك مسئول عن روحك، تترجاها أن تهدأ وتستكين. أنت أيضًا مسئولٌ عن إهدارها وتمزيقها إربًا، ولا ذنب لها سوى أنها ملككَ. كل سبيل أنت مارٌّ به، ما هو إلا باختيارك، واعلم جيدًا أن حياتك ليست كالدمى المُتحركة! روحك تأبى وترفض الاستسلام، وأنت تُسلم نفسك!! قلبك يأبى الألم وأنت تسمح لهُ بزيارتك. رأسُك يكاد أن ينفجر من كثرة التفكير، وأنت تأبى التوقف!! ذكرياتك تفرد أجنحتها أمامك لاختيار ما تشاء وأنت!! ماذا تفعل سوى اختيار الأبشع منها؟! ثم بعد ذلك تُلقي اللوم عليها! كيف؟!

أنا شديدة التعلُق؛ كلمة واحدة فقط قد تُعميني عن كل عيوبك الظاهرة للأعمى!! أنا يا سيدي، لا أقبل إلا بشخص يقف تحت شُرفتي

ليرى ابتسامتي فقط! أنا لا أقبل سوى بشخص يُسافر إلى بلادٍ ليختلس نظرة واحدة مني! أنا قوية متينة، لا تتأثر ولا تكترث لقصص الحُب، أو لنُقل كُنت ذلك قبل دخوله حياتي! أنا عندما يُغلق بابي أمامك تيقن أنه لن يُفتح أبدًا! أنا بجانبك في ثوراتك، وآلامك! في اشتعالك، وأنينك! في كُل شيء قد تمُر به! أنا ماضيك الأليم، وحاضرك الذي يحتويك! لم يستطع أحد أن يؤثر بي أبدًا طوال حياتي! لم ينبض قلبي يومًا لأحدٍ! لم ألتفت يومًا لأرى عين أحد!! لكن عندما رأيتهُ في الجامعة لأول مرة؛ رقص قلبي طربًا رقصًا لا مثيل لهُ! كان كثير السهر وكثير النساء! وعلى الرغم من خيانته لي كُل يوم، إلا أنني عُميت عن ذلك! كان الروح التي تُحييني!! كان كُل شيء وأي شيء، وفي كل وقت وحين!! كان آمالي وآلامي! روحي وشُعلتي! يقتلني في كُل ثانية! ويحييني في الأخرى!!

أكرهك كثيرًا!! وأكره الجزء الذي ما زال ينبض باسمك!! لكن لا أعرف لماذا أمضي إليكَ، لماذا أنت! ماذا يفعل الإنسان إذا لم يجد مكانًا يذهب إليه بعد تعثُّره في دربهُ! ماذا يفعل بعدما تلاشت أحلامهُ وسقط! تمر لحظات على الإنسان لا هروب منها، ويجب أن يجد كتفًا ليبكِيَ عليه، أو عناق حار يحمل عنه همومهُ!

تسمع صوت جدتها وهي تُغني مع العصافير، فتذهب إلى الشرفة لتضُمها من الخلف، فتربت بكفها على وجهها في رفق وتقول:

صباح الخير يا حبيبتي..

ردت: صباح الخير والفُل يا جدتي..

وأردفت: ماذا سنأكل من يديكِ الجميلتين اليوم؟

ردت ضاحكة: أتسخرين من طعامي؟

فتقول الجدة: اممم.. من أحرقهُ أول أمس؟

نظرت إليها نظرة لائمة وقالت: أهكذا إذن؟

وضحك الاثنان معًا وقالت الجدة: سأعد لكِ طعامكِ المُفضل اليوم..

قالت سائلة: وما هو؟

أجابت الجدة: محشي ورق العنب بالإضافة إلى ملوخية الأرانب!!

صاحت بصوت عالٍ وقالت: أخيرًا فهمتني!!

ردت الجدة: اممم بالهناء والشفاء لقلبكِ بإذن الله يا صغيرتي..

يرن الهاتف فتلتقطهُ وتعتصره بين كفيها، وتذهب إلى غُرفتها، وتفتح المصباح الأبيض، فتشع الغرفة أملًا، وتقف وتستكين وتجلس، ثم تقف، ثم تذهب، وتضع الهاتف بعدما توقف عن الإزعاج، وتقف أمام

المرآة، ترفع يدها لتحمل خصلات شعرها المرسلة على كتفيها وتنظر إلى عينيها المُتهالكتين: أحتاج إلى حياة أخرى! إلى أملٍ يُصاغ داخلي بشكل جديد! إلى قلبٍ يحتويني! إلى من ينتشلني من أعماق الألم! إلى من ينتشلني من شُرفة الأيام مُنتظرة راغبة في الحياة! إلى من ينتزعني من طي الأيام وجرحها!! أحتاج إلى من ينتشلني من أعلى قمم الجبل الذي لا يوجد به سوايا أنا وحُزني فقط! أحتاج أنا أحيا! أحتاج فُرصة فقط! تلتفت إلى رنين الهاتف مرة أخرى..

تتناول هاتفها لتجد اسم صديقها عُمر على الشاشة، تضغط زر الإجابة وتقول: الووو..

قال عُمر: أين أنتِ، أحاول أن أتواصل معكِ مُنذ يومين!!

ردت: أعتذر، الهاتف كان به عُطل..

قال: وصال!

ردت: ماذا هُناك يا عمر!

قال ونبرة الحُزن تفوح منهُ: أريد أن أخبرك بشيء، ولكن عليكِ أن تتفهمي!!

قالت بنبرة خائفة: ماذا هُناك!!

أين حبيبكِ الذي أنتِ حدثتني عنهُ؟

ردت مُسرعة: إنهُ مُسافر لرحلة عمل..

وأكملت سائلة: لماذا!

رد: في الحقيقة لقد رأيتهُ أمس مع فتاة أُخرى!!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وكأنهُ أبى أن يتزحزح عن حلقها، وقالت بصوت حزين:

بالطبع لا يُمكن، هو ذهب بضعة أيام للعمل!! وقد قال لي فور رجوعه إنه سيُحدثني؛ فكما تعلم أنت أن الأطباء عملهم هكذا..

وكأنها تُكذِّب نفسها أمام صديقها، ويأبى قلبها التصديق، فقال عُمر:

أنا خائف عليكِ وخائف على مصير هذه العلاقة، فأرجوكِ تأكدي!!

وإن كان هُناك يا يوحي أن هذه العلاقة ستدُمركِ فانسحبي فورًا!!

"ليتنا انسحبنا عند كُل تعثر وسقوط"

ردت وكأنها تعرف أنهُ طريق الألم:

لا تقلق يا صديقي، سأهتم بأموري كعادتي!

قال: استودعتكِ نفسكِ وحياتكِ!! دُمتِ آمنة من شر الحُب والألم!!

ردت: إلى اللقاء..

وخرت قاعدة على الأرض فور انتهاء الحديث! أخذت تهجم دموعها بقوة، وكأنها كانت تنتظر أي شيء للهجوم! ينتفض قلبها وتنتفض نبضاته بشكل يؤلم!! تشعر أن الحُزن يأتي من بعيد لزيارتها هذه المرة! تضغط على قدميها بقوة، لا تهدأ؛ تشتعل ويشتعل معها أنينها القاسي.. تتناول الهاتف! تفتح آخر رسالة قادمة منهُ باسم روح:

"حبيبتي، أنا ذاهب لبعثة عمل إلى فرنسا، وسآتي خلال أسبوعين.. أُحبك"

لم يمُر أسبوعان فقط! بل مر أكثر من شهر ولم ينبض الهاتف باسمك!!

ضغطت زر المكالمة.. جرس ثم جرس ثم جرس ثم!!!

الوو!

لا إجابة!

الوو!

لا إجابة!!

تُغلق الهاتف وتقذفهُ بعيداً! لِمَ تكون اختياراتنا دائمًا خادعة! لِمَ نُكذب أنفُسنا من أجلهم، ونحنُ نعلم أن الفؤاد على حق! لِمَ نختار من يفتت قلوبنا؟!! لِمَ اختياراتنا تتوقف دائمًا على مدى ألمنا؟ هل أريدُ أن أتألم؟!! هل أريد حياة من الجراح؟ أين الخطأ؟! بي؟ أم به؟ أم بالحُب البشع! لمْ تُعطني

الحياة أملًا كاملًا، أو حلمًا كاملًا يومًا، بل تضعني على حافة الألم، وتدعني وتذهب وكأن شيئًا لم يكن!! لمَ تُعطينا أملًا مُزيفًا؟!! حتى لو كان أملًا أو حلمًا ليس حقيقيًا! لكنها لا تجعلنا نُكمله سوى بهلاكنا!! هلك الفؤاد من أكثر الأماكن أمنًا وسلامًا، هلكت الحياة من رفيقها! هلك كُل شيء! وأنا هلكت!

لا تستطيع أن تُعِّبر عن تلك النازلة التي حلت بها، ولا تلك العاصفة التي هبت مُفاجئة لكُل شيء. تقف وتمسح دموعها التي جفت على وجنتيها، تتذكر أنهُ قد أعطاها عنوانًا له، وأنه يعيش وحدهُ، أخذت تبحث عنهُ في كل بقاع المنزل، إلى أن وجدته تحت وسادتها، وأقسمت أنها لن يهدأ لها بال حتى تراهُ مُتلبسًا بجريمته! وأية جريمة؟! جريمة قتلي!!

تجهزت في الحال بعدما دخلت شمس الظهيرة، ولأول مرة تدخل مُحملة بالأوجاع والآلام، تدخل أشعتها لتندس داخل الصدر تحاول أن تهون على الفؤاد ما حدث لهُ، انتهت من ارتداء ملابس كان يمقتها وودَّعت جدتها وسألتها: إلى أين؟!

ردت: صديقتي قامت بحادث أليم! قد دوى بقلبها وسأذهب لأراها!

ردت الجدة وهي تعلم أن بها شيء: اعتنِ بنفسكِ!

هرولت بخطوات سريعة مُستقلة سيارتها السماوية، وركبت وانطلقت بأقصى سُرعة! توقفت أمام المنزل، نظرت مُتفحصة لتجد نورًا خافتًا يخرُج من النافذة، أغلقت باب السيارة وذهبت، كادت أن تهوي بها السيارات على الطريق، ولكنها لم تلتفت لها! كم هو مؤلم أن يتمكن الألم منك ولا تشعر بشيء سواه!

صعدت درجات السلم بخطوات سريعة، وقد تبدو لك أنها خطوات تأبى التحرك، تقف أمام باب المنزل، تجفُّ دموعها داخل مقلتيها، يأبى فؤادها تصديق ذلك، تنتظر، تهدأ، وتحاول أن تُكذِّب نفسها، ترفع يدها لتطرق الباب ليُعلن أن الأمور على وشك النهاية!! لمْ يكذب حدسها الذي حاولت إخفاءه، فُتح الباب وكانت المفاجأة! كانت فتاة شقراء، بيضاء البشرة تقف أمام الباب! وسألت وصال:

مرحبًا، بماذا أخدمك!

لم تنبس ببنت شفة، وجاء صوته من الداخل يقول:

أين ذهبتِ!

ليقف ثابتًا لا يتحرك، لا حول له ولا قوة!! تظهر على وجهه غيمة من الارتباك الشديد من فجاعة الصدمة التي أمامه!!

وصال!! أنا أنا كُنتُ!!

تلملم كرامتها في سَكِينة وتذهب، ويأتي صوتهُ: دعيني أشرح لكِ!!

غريب حال الأنسان؛ يقف مع سبق الإصرار والترصد مُتلبسًا، ثم يقول "دعيني أشرح لكِ" ماذا تشرح؟! بماذا ستبرر وقوفك مع فتاة عارية!! بماذا سُتبرر كذبك؟!

لم تُعاتب وصال؛ فكُلما عاتبت ظل هُناك خيط الرجوع مرة أخرى!!

القلوب الطيبة دائمًا تضع ألف سببٍ للحب! ولكن ما أن تأبى النفس ويأبى الفؤاد بالانسحاب، فلا أحد يستطيع أن يُعيده مرة أخرى! وأهم من يجلس مع طي الأيام مُنتظرًا ليرى من سيفتقدهُ! من سيشعر بغيابة!

غادرت بخطوات لا يُمكن وصفها، ينتفض قلبها ألمًا وأنينًا وقسوة، ينتفض قلبها، نبضة تلو الأخرى، ركبت السيارة واتجهت إلى المنزل، وصلت وصعدت، وما أن رأت جدتها حتى ارتمت في حضنها وظلت تبكي بُكاءً يقشعر لهُ الحجر! بكاءً تجف له الدموع! بكاءً قاتلًا ومميتًا! بكاء فبكاء فبكاء!

قالت الجدة في فزع: ماذا هُناك يا حبيبتي!!

لم ترد..

وأكملت:

لقد حذرتكِ من الحُب يا ابنتي! هو أقسى ما يمكن أن يمر به الإنسان! سامحيني يا ابنتي، لا أستطيع أن أساعدك! لا مُساعدة في الحُب! لا أحد يخرج منهُ سالمًا! قلبي معكِ يا ابنتي! لا تقلقي، سنذهب لأكبر أطباء مصر! لن أتركك يا حبيبتي!!

وقفت ونظرت إلى عينيها وخرت مغشية عليها!

_ يحدثونني عن الوِحدة فأبتسِم، لا أحد كسرته الوِحدة ونهته مِثلِي..

_ يحدثونني عن الصَمت فابتسِم، لا أحد عشق الصمت وأدمنه مِثلِي..

_يحدثونني عَن البَرد فأبتسِم، لا أحد أخرسَهُ البَرد وارتجَف ضلعه مِثلِي..

_ويُحدثونني عنك فأبكِي.. لا أحد.. أحبك.. مِثلي..

"ما أصعب أن تكون الهموم طريقاً للدموع"

كأنه أخذ مفاتيح قلبي وألقاها في سراديب من الحُزن والألم، وألقى حياتي بعيدًا سقطت أوراقي، وتبعثر دربي، تغيرت حياتي، جفت مشاعري، تفجرت براكين من الأسى في لحظات الوداع، فما أصعبها! كأنها جمرة تحرق القلب حرقًا بعين باكية وقلب حائر يحتجزني داخل مدفأة الحُب ويأبى خروجي، صار حزني بكل مراسٍ أواجهها، وتُهت بين الألم والوحشة..

صرتُ مُدمنة، نعم، مُدمنة الألم.. مُدمنة الحُزن.. الذي اقتص من عُمري. مُدمنة القسوة.. التي دوت بي وأهلكتني. مُدمنة اليأس الذي يتربص بي ولا يتركني. أصبحت سهلة المنال، من يشاء يستطيع أن يعبث بمشاعري! أصبحتُ مُلمة! لكني لم أستطع أن ألملم حياتي المُنتهية!! لم أستطع أن أقف أمام ذكرياتي النائية وأواجهها وأحذرها ألا تأتي مرة أخرى! لكن هيهات هيهات! لا سبيل لي سوى الألم!! كأنهُ خُلق لي، وأقسم ألا يفارق فؤادي مهما حدث! ليت الفؤاد حجرًا لا يشعر ولا يتألم! ليت الحياة فولاذية بحتة لا تنحني! ليت النفس قوية لا تسقط! احترس من الدُنيا؛ فهي على الرغم من سذاجتها إلا أنها خبيثة للغاية! قد توهمكَ أن السعادة لك! ثم تغدر بكَ في لحظة! ليت الروح كانت حديدية حتى لا تتأثر ولا تتأذى! ليتني أمحو نفسي من الذاكرة! أمحو حياتي!! أمحو اسمي! أمحو فؤادي الضعيف! أمحو ضعفي واستغاثتي! أمحو روحي الطاهرة التي لوثتها دماء الحُب والألم! أمحو ظاهري وباطني! أمحو الماضي! أقتل الحاضر! أنا الوهم! أنا الأمل الضعيف، أنا لا شيء، أنا كُل شيء.

رسالة رقم (١٥)

"الحِلم هوَ عَكَسُ الحَقِيقة"

رسالة رقم (١٦)

"عرف الحُب من وجهة نظرك؟"

رسالة رقم (١٧)

"كَثرة الْتَفكِير تُسببُ الْانْفِجَار"

لو كنت يوم أنساك.. إيه أفتكر تاني
بالي وخيالي معاك.. وكل وجداني
الحب اللي في قلبي.. والدمع اللي في عيني
والنار اللي في جنبي.. والشوق اللي كاويني
طول بعدك ولا مرة فاتوني..
لو أنساك ازاي ينسوني..
لو كنت يوم أنساك.. إيه أفتكر تاني
يا فايتني وهان حبي
على قلبك يا حبيبي
بادعيلك من قلبي
ماتشوفش تعذيبي
لا اللي قاسيته كان على بالي
ولا أوهامه جَت في خيالي
لو كنت يوم أنساك
إيه أفتكر تاني

عبد الحليم حافظ

تتسابق لفحات من الألم لتتحدى لحظات من الصمت، ويظهر السكون والهلاك، حرب صامتة يتقارع فيها الهدوء مع الاشتعال؛ انفجار في دهاليز العقل، أحاسيس غير مُتشابهة تأتي واحدة تلو الأخرى، ولرقة جُدران القلب كانت الصدمة ثقيلة فدوت به، انهال العرق في هذا التوقيت على بشرته الداكنة، أخذ يجثم على صدره بقوة ويخنقهُ خنقًا، حتى كاد يتوقف عن النبض، انقبض وجهه حُزنًا، فاعتلته سحابة من الهلع والخوف الشديد الممزوجان بالجزع، واقفٌ ممُسكٌ باب الغُرفة ناظرٌ من نافذته الصغيرة ويرى الطبيب يعبث بها، ينتظر وينتظر وينتظر، يذهب، ثم يجلس، ثم يقف، لحظات من عدم الشعور بالنفس والاتزان، يحيط رأسه بيده، يُلقي بقبضته على الحائط في غضب، أسدلت الثواني دقائق أنين، ولم تتوقف الدقائق هي الأخرى، بل أصدرت نسيجًا من الساعات الطويلة العجاف، فنَسَجَتْ الساعات ألما في القلب من شدة الانتظار، جثمت لحظات من الصمت بما يحملهُ في أركانه من ألم، يجلس بجانبهِ صديقه خالد مهوِّنًا على قلبه، ويبث فيه أملًا، يُغمض عينيه ليراها واقفة بُفستانها الأسود، تضحك فتظهر ابتسامتها المُطهرة للجراح، وعيناها المُشعة التي تدوي بمن ينظُر إليها، لحظات من الأذى القلبي والبصري، كُلٌّ منهما بحدة ينتبه لصوت الدكتور وهو يصيح:

أسرعوا!!!

يظهر القلق مرة أخرى، قدماه تصطكان من شدة الخوف، ونبضات قلبهِ تنخفض بشكل ملحوظ..

يأتيه صوت خالد قائلًا:

اهدأ، لا شيء سيحُدث، ستكون بخير إن شاء الله..

رد ياسين في قلق: لا أعلم، لكن قلبي يُخبرني أنها لن تعُود إليَّ!!

رد خالد مُحاولًا إظهار الأمل: لا تقلق، سيحل الخير بإذنهِ..

وأكمل: أنت طبيبٌ نفسيٌّ، كيف تُخفف عن مرضاك ولا تستطيع التخفيف عن فؤادك!!

رد ياسين ويداهُ منكمشتين:

هذا أكبر من أي مرض نفسي! بل أكبر من أي طبيب نفسي! بل أكبر مني ومنك!! تأخُذنا الحياة دائمًا ضمن خيباتها المؤلمة، وإن شعرنا للحظات بالسعادة، فيجب أن نعلم أن هُناك شيئًا خطأً!! قد تُعطينا أملًا، لكنها بخيلة للغاية، فلا نستطيع أن نحتفظ بهذا الأمل سوى للحظات فقط! فقلب الرجُل عندما يُحب يضعف، يستكين، يهدأ، يشتعل، ينتفض، تصبح لديه نقطة ضعف.. وعند كسر قلبهُ، لا يستطيع أن ينسى أبدًا، ولو اجتمعت السنون والأيام واللحظات والثواني لفعل ذلك، سيأبى قلبهُ النسيان مهما

حدث! الرجُل عندما يُكسر لا يستطيع أن يلملم سكينته وفؤاده، بل وحياته مرة أخرى.. أما الأنثى؛ فلديها قلبان، الأول للعشق والتعلق وعدم الاستسلام، ولا يغزو عينيها غير الفؤاد الذي رقص قلبها من أجلهِ.. أما الثاني؛ فهي عندما يُكسر قلبها الأول، تستخدم الثاني لتستكمل حياتها، وكأن شيئًا لم يكُن.

"جميعُنا بلا فؤاد سليم الأركان مُكتمل المُحتوى"

تمُر لحظات أخرى من الصمت القاسي، تُصاحبهُ دقائق من اليأس، آلت عقارب الساعة إلى التقدم، وأقسمت ألا تستكمل طريقها، ما زال قلبهُ ينتفض وينتفض وينتفض، لا يستطيع أن يهدأ، ولا يغمض لهُ جفن، شعور من الحُزن يسطر حروفه على وجدانهِ من ناحية، وشعور أليم يُصاحبهُ تفكير عميق. حين تأبى عقارب الساعة المرور، حين تأبى الحياة إعطاءك فُرصة أخرى، حين يأبى فؤادك التخلي، حين تأبى أنت أن تحيا!!

يُفتح باب الغُرفة، فينتفض ياسين ذاعرًا، ويهرول مُسرعًا قائلًا:

ماذا بها!!

رد الطبيب: نحنُ نفعل ما بوسعنا. لكن المُشكلة ليست من الحادث!!

رد ياسين غير فاهم:

لا أفهم، أين المُشكلة إذن؟

رد الطبيب: المُشكلة أنها مريضة بسرطان الدم!! وهي في حالة خطيرة للغاية!

تراجع ياسين بخطواته إلى الوراء غير مُصدق وسأل الدكتور: سرطان!!

رد: نعم، سنفعل ما بوسعنا..

أتى الألم مرة أخرى، واستقر داخل الصدر، فانتفض ما بداخلِهِ ذعرًا وخوفًا، ما زلنا في هذه اللحظات المؤلمة السوداء، ما زالت الحياة أنانية للغاية..

لم خُلق الألم؟ لم خُلق الشعور بالحُزن؟ لم خُلق اليأس؟ لم خُلقت الصدمات والأزمات؟ لم خُلق الخِذلان؟ لم خُلق القلب ضعيفًا واهنًا؟

كُلها أُسماء لمسمى واحد، للشعور بالألم، وكُلٌّ منهم ينتشر بطريقته الخاصة ليحيط ريحان الفؤاد بدقة بالغة ليوقعها في مُحيطه، يشتعل الفؤاد كما تشتعل براكين الحمم الساخنة التي بداخله.. ويشتعل الرأس ويأبى التوقف! تشتعل أطراف الجسد وتزورها لفحات من البرد! تشتعل الروح وتأبى الاستكانة! تشتعل النفس وتُصارع نفسها ولا تهدأ! تشتعل الحياة، تشتعل الشوارع، تشتعل النوافذ! كل شيء يشتعل!

يقف مرة أخرى، يذهب، يجلس، يقف، لا شيء سوى صراع داخلي مُميت يؤلم فقط. يُقرر أن يدخل ليراها؛ قد تكون المرة الأخيرة!

يُشتت خالد انتباه المُرضين، ويفر ياسين خلسة ليفتح الباب، ويدلف إلى الداخل بكل قوة، يهرول مُسرعًا ليمسك يديها اللتين تحولتا لونهما إلى اللون الأخضر إثر ضربات وكدمات غريبة، ينظُر إليها بأعين يملؤها الحُزن ويُحدثها:

ستترُكينني مثلهم، ألم أقل لكِ أنهم جميعًا تركوني؟ ألا يكفي ألمًا لفؤادي!! أرجوكِ لا تذهبي، أرجوكِ ابقي!!

فتتصارع دموعهُ لتنزل على وجنتيه، فتتساقط من إحدى شعيرات ذقنه قطرة ماء مالحة، لتهبط فاردة يديها على يد أنين، فتفتح عينيها وياسين ناظر إليها فابتسمت وقالت: لم تبكِ مثل الأطفال؟

لم يرد..

أنا ما زلت هُنا! والمُهم هو أنني ما زلت بقلبكَ!

رد ياسين مُعتصرًا كفها: إن لم أبكِ فماذا أفعل؟ هل تريدينني أن أموت؟!

فضحكت بوهن شديد، فظهرت ابتسامتها الصفراء المليئة ألمًا وقالت:

لا، أريد منكَ أن تضُمني فقط وسأستريح..

رد ياسين: لا، أنا لن أحدثكِ..

قالت: لماذا؟

رد: لأنكِ ستتركينني!

قالت: في هذه الحالة سأكون قد مِتُّ!!

قال ياسين واضعًا يده على فمها: اصمتي!

فابتسمت. وقال ياسين: عديني!!

ردت: بماذا؟

قال: أنكِ ستعودين إليَّ!

قالت: لا أستطيع ذلك! لا أعرف أسأحيا أم لا!

قال: أهكذا إذن؟

فضحكت مرة أخرى وقالت: أعدُك. لكن هُناك شرط..

قال: ماذا؟!

ردت: إن لم أعد، فهذا سيكون على الرغم مني!

قال: ستصبحين بأفضل حال إن شاء الله!

وأكمل: سأدعكِ ترتاحين.. وداعًا..

قالت باسمة: ثانية؟ أنتَ هكذا لا ترُيدني!

رد ضاحكًا: أعتذر.. إلى اللقاء..

خرج ياسين ليجلس بجوار خالد، وسأله عن حالها فطمأنهُ ياسين.. عيناه تحاولان النوم، ونفسه تأبى، لم ينم مُنذ ثلاثة أيام، يُحدثهُ خالد قائلًا: ألن تنام؟

رد: لا، لا أريد..

قال: كيف؟ أنت لم تنم مُنذ مجيئنا إلى هُنا!

رد: ولن أنام حتى اطمئن على حالتها!!

قال خالد بابتسامة عابثة: أقُلت لي إنها صديقة فقط؟

وضحك الاثنان معًا. مرت الساعات والدقائق والثواني واللحظات تباعًا، راغبة في أمل تحسن حالتها، يجلس على الكُرسي الحديدي واضعًا رأسه بين كفيه داعيًا الله عز وجل أن يطمئنهُ عليها، يستكين قليلاً بعد مُحادثتها، يهدأ وتهدأ روحهُ، لكنه مازال يشعر بعدم الاطمئنان، يستقر القلب وينبض بشكل طبيعي، تستقر النفس وتهدأ، ويذهب كثرة التفكير في رحلة، إلى أن يلتفت إلى الطبيب وهو يهرول مُسرعًا! فانتفض واقفًا كما لدغته حية سامة، وهرول هو الآخر إلى باب الغُرفة، ليقف ناظرًا إليها، وجد الطبيب يأتي بذراعين من الكهرباء، ويحاول أن يُكذب نفسهُ ويقول إنها بخير، يتراجع إلى الوراء بخطوات مؤلمة، وبعد نصف ساعة من المحاولة.

يخرُج الطبيب من الغُرفة قائلًا وهو ينظر إلى ياسين:

البقاء لله..

لا يوجد وصف لحالته، لم ينبس ببنت شفة، هو ساكن ثابت لا يتحرك، ينظر أمامهُ فقط! تمزق قلبه وتهتكت نياطه، انهارت منافذ قلبهِ منفذًا منفذًا، كأن الصدمة سقطت فأردأته! وبعد لحظات خرَّ قاعدًا على الأرض.

ماذا أنت فاعلة أيتها الدنيا بقلوبنا البريئة؟ ماذا فعلنا لكِ؟ لماذا تكرهيننا؟ لماذا تأبين أن نشعر بسعادة ولو لمرة واحدة فقط؟ سئمت قول لماذا ولم! سئمت هذا الشعور الذي لا ينتهي! سئمت كوني أتحمل ما لا طاقة لي به! تبًّا لقرارات تقودها الظروف!

تبًّا لقرارات تقودها الحياة على الرغم منا. تبًّا لقرارات يقودها القلب.

قرارات يقودها اليأس!! تبًّا للُحب والألم! خسارة تلو خسارة، ضعف تلو ضعف، يأس تعقبه عُزلة، ألم يعقبهُ وهن، خيبات مُتكررة، صدمات لا تتوقف من أقرب الناس إلى فؤادك، أزمات تكشف لك معادن من حولك..

وتستمر الحياة في كونها حياة، ونستمر في كوننا بشرا..

رسالة رقم (١٨)

"لا تترُك لفؤادك الضعف! بل تخلَّ عمَّن لا يستحق نبضة واحدة منهُ"

رسالة رقم (١٩)

"ما زلتِ جميلة حتى تصنع حربًا من أجلكِ"

رسالة رقم (٢٠)

"فلتظلي ثابتة؛ سيأتي من تنتظرينهُ قريبًا"

الحياة شريط، والذكرى محتواه.

الحياة محطات للدموع، كُلٌّ منا عابر سبيل بها..

الحياة شُعلة، إما نحترق بها، أو ننطفئ بها ونبقى في ظلام..

الحياة هي مادة مصنوُعة من الحُزن واليأس والألم..

قسوة الحياة في ظروفها الصعبة التي تضعها، وتقف أنت أمامها ضعيفًا ذابلاً وتختفي منك ملامح الفرح، وتظهر ملامح الألم فقط!

الحياة تُعطيك بيتا من الحُزن، وتُعطيك خيطا رفيعا من الأمل!

الحياة فيض من الذكريات تصب في بحر من النسيان!

الحياة رفيق سيء وجيد في الوقت نفسه!

قد تُعطيك أملًا ويعقبهُ جدار! قد تُعطيك فرحًا ويعقبهُ حُزنٌ بالغٌ!

قد تُعطيك سببًا وتعقبه نتيجة قاسية!

قد تُعطيك حُبًّا ويصحبهُ فراقًا!

قد تُعطيك حماسًا ويصاحبهُ يأسًا!

وقد تأخذ منك حياتك في مقابل ماذا؟

إن فكر قلبك أن ينبض ولو لمرة واحدة!

وقد تأخذ منك روحك في سبيل ماذا؟

في سبيل شخصٍ لا يستحق أي شيء!!

الصمت يجثم مرة أخرى، فاردًا أركانه ومحتواه على أروقة المستشفى، وجثمت معه خيوط الليل الهاربة من فؤاد العاشقين، ويفتح عينيه في استكانة شديدة، ويجول بنظره بين أجهزتها الرتيبة يؤلمه رأسهُ بقوة، لا يعرف ما الذي أتى به إلى هُنا، يتذكر أنه كان يقود سيارته بسرعة، وإذ بأنين تقف أمامهُ، ويوقف السيارة بكل قوة في منتصف الطريق ليجدها تقترب منهُ قائلة: كيف حالك يا ياسين؟

رد وقلبه ينبض بسرعة بالغة:

اشتقت إليكِ يا أنين! اشتقت إليكِ كثيرًا..

قالت: وأنا أيضًا، لكنك كذبت!

سأل غير فاهم: كذبت؟

أجابت: نعم، لقد قُلت أنك لن تُحب أحدًا غيري أبدًا! ولكن نبض قلبك لغيري الآن!!

رد بتلعثم: لا، لا، لم ينبض قلبي لأحد!

قالت بعينها الواسعتين: لا تكذب، أنا أعرفك أكثر من نفسك!

افتح قلبك مرة أخرى ودعهُ ينبض من جديد، دع الحياة تدخلهُ؛ دع النور يهز كيانهُ المُبعثر، إلى متى ستظل بدون حُب؟ إلى متى ستظل تغلق قلبكَ كأنهُ لم يُخلق من الأساس!

قال سائلًا: كيف عرفتِ كل ذاك؟

قالت باسمة: أنا روحك يا ياسين، أستطيع معرفة ما بك بدون أن تعلم أنت وأسهبت: بالمناسبة، إنها فتاة جميلة للغاية ومثلكَ تمامًا.. افتح نوافذ قلبك، دع له السلام، دعهُ يرتح قليلًا، لقد أنهكتهُ بذكرياتك، وآلامك، وحُزنك، وأنينك..

رد ياسين: أنينك؟

قالت: نعم، أعلم أنك ما زلت تكن حُبًّا لي، حتى لو كان بسيطًا، لكن كفى يا ياسين، عليكَ أن تهتم بنفسك أنت!

رد باسمًا: وأنتِ؟

قالت: أنا أخذت ما أردتُ منك؛ أخذت حُبك، لهفتك، شغفك، حياتك، لكنني لن أكون سعيدة حين أراك تنتهي؛ أنا التصقت بروحك تمامًا! أنا أنت، لكن علينا الآن أن ننفصل! سآتيك فور ما أشعر أنك بحاجتي! سآتيك..

واختفي أثرها. وبدأ ياسين يُفكر فيما قالت.

هل حقًّا أحببت هذه الفتاة؟ هل حقًّا نبض قلبي لها؟ هل حقًّا يُمكن أن تُعطيني الحياة فُرصة أخرى؟ هل ظهرت حنيتها، وقررت أن تهدي قلبي المُنتهي أملاً آخر؟

انتبه لصوت خالد والباب يُفتح، وهرول مُسرعًا لاحتضانه:

ماذا حدث لك؟ أخبرني هيا! أنت حي أليس كذلك؟ ياسين!!

رد ياسين ضاحكًا: ابتعد يا أحمق أنت تريد موتي!

ضحك خالد وتراجع للوراء للجلوس على الكرسي وقال:

صحتكَ بمائة رجل!

رد ياسين ضاحكًا: وأنت بمائة امرأة..

اعتدل خالد في كرسيه وقال: لستَ مُضحكًا..

فقهقه ياسين وقال: أريد منك شيئًا ضروريًّا..

رد خالد بجدية بعد أن رأى تغير ملامح ياسين: ماذا هُناك؟

قال: أنت تعلم أن قدمي كُسرت؛ وأمامي أكثر من شهر حتى أقف عليها بسبب هذا الأحمق الذي صدمني؛ فأريد منكَ رعاية المريضة التي حكيت لك عنها..

رد خالد: نعم، أنت تُصاب وأنا أحمل عنك..

قال ياسين: عليكَ أن تهتم بها جيدًا، وغدًا اكمل علاجها..

رد خالد: إن شاء الله..

***

"تنتهي الأحلام دائمًا عندما تستيقظ على الحقيقة"

انتهز الصباح فُرصة هروب الليل، ليهرول مُسرعًا وينتشر في السماء، وفي أرجاء الأرض ويترك مساحة أُخرى لقرص الشمس، ويفرض أشعته على الساهرين ليلًا، تقف وصال في شُرفة المُستشفى، وتتوكأ بساعديها على سور، وتقتحم الأشعة صباحها عنوة، أخذت تُفكر بياسين، وكيف حاله، وماذا أصابهُ، أرادت أن تذهب لكن أبت جدتها، ووعدتها أن يذهبا سويًّا في الصباح، لذا لم تذق طعم النوم. وتُحدث صميم نفسها قائلة:

ماذا هُناك؟ هل بدأ قلبك يحيا مرة أخرى؟ هل بدأ يتذوق طعم الحُب ثانية؟ هل استرجعتِ روحكِ عندما فكرتِ لوهلة بهِ؟ هل حدثتكِ نفسكِ عنهُ؟ هل اهتز كيان جسدك بأكملهِ عندما فكرتِ أن يزورك الحُب؟ ما هذا القلب؟ ما هذا الجنون؟ كيف ينبض بعد كل ذاك الألم؟

تبًّا لقلب أهلكتهُ الدُنيا، ثم أبى ونبض من جديد!

تبًّا لهذا القلب الذي نبض ألمًا ثم نبض حُبًّا!

تبًّا لحياة أعطت الفرصة بعد أن أُهلك الجسد!

تبًّا لغيمات الحُزن التي اعتلت قلوبنا!

تبًّا لعقولنا الشاردة بأشياء خذلتنا!

تبًّا لأرواحنا العالقة بأشياء تأذيها!

تبًّا لكُل شيء يُدمر ما تبقى منا!

تبًّا للألم!

تبًّا للحُزن!

تبًّا لليأس!

تبًّا لكُل شيء وأي شيء!

تجهزت وصال هي وجدتها، ولأول مرة تخرج من المُستشفى لترى وجها من وجوه الشوارع، تستقلان سيارة وصال القديمة، تنظر إلى المارة، الشوارع، الحياة خارج المستشفى، تتذكر كل شيء وكأنه كان أمس، تذهب بعقلها بعيدًا في نسمات الهواء الصباحية التي تأتي خلسة هاربة من الشمس، تقف أمام المُستشفى تجر قدميها إلى الداخل، تسأل جدتها على غُرفته، لتجر قدميها وتستقل المصعد وتقف عند الدور الثالث، وتطرق يداها الباب وتدخل، وقفت جدتها خارجًا لتجد ياسين ينظر إليها مُتفاجأً قائلًا:

وصال؟ كُنت أفكر بكِ!!

قالت: بماذا إذن؟

قال بتلعثم: ها؟ لا، لا شيء، كُنت أفكر فقط في استكمال علاجكِ..

قالت: وأنا أيضًا كُنت أفكر بكَ!

رد ياسين مُتعجبًا: ها؟ تُفكرين بي؟ بماذا؟

ردت: في استكمال علاجي..

نظر إليها بابتسامة عابثة: اممم حسنًا..

وقال: كيف حالكِ الآن؟

ردت: بأفضل حال الحمد لله.. وأنت ماذا حدث لك؟

قال: لا شيء، حادث سير بسيط..

قالت ضاحكة: هذا واضح كل الوضوح من قدميك..

فضحك ياسين وقال: شُكرًا لكِ لزيارتي؛ لن أنسى هذا لكِ..

قالت: وأنا لن أنسى من قام بكل شيء حتى عالجني!

رد رافعًا حاجبيه: هل تلمحين لشيء؟

قالت: نعم، أعلم أنك الرجل الكبير الذي مات!

قال ياسين وملامح وجهه تتعجب: كيف؟! من قال لكِ؟!!

قالت باسمة: جدتي من قالت لي، ووجب عليَّ حقًّا أن أشكرك كثيرًا؛ لقد أنقذتني..

رد ياسين: هذا كلهُ لأجلك..

قالت والعرق يغمرها: سأنتظر عودتك..

قال: وأنا أعدك أنني سأعود إليكِ إن شاء الله..

قالت وقلبها يتسارع نبضاته: لن أغادر المستشفى قبل قدومك!

قال باسمًا: وأنا لن أغادر حياتي قبل أن أراكِ مرة أخرى!!

عادت وصال إلى غرفتها في المستشفى بعد أن انتهت من حديثها وأنها اطمأنت على ياسين، عادت إلى حياتها مرة أخرى، وعادت ابتسامتها المفقودة، وعادت روحها المُنتهية وعاد قلبها بالتحرك شيئًا فشيئًا، عادت وعاد كل شيء!

الأنثى كائن قوي للغاية في الاكتفاء بالذات! الأنثى كائن شعوري يفرح لكلمات تطرب سمعه وتحزن لكلمات لا تروق له! الأنثى هي أضعف كائن على وجه الأرض! الأنثى تمتلك قلب أم، وروح صديقة، وعقل ضابط شرطة، وحُب مجنون! الأنثى أنثى، حتى لو اجتمع الحُزن والألم لهدِّها فإنها تنهض وبكل قوة!

بدأ القلب يعود لمجراه، وبدأت الحياة وأصبحت تنشر سرورًا وبهجة. تجلس وصال على فراشها، تهدأ وتستكين وتستريح روحها، انتبهت لطرقات على باب غُرفتها فسمحت بالدخول، وما أن وقع نظرها على الزائر حتى انتفضت بضعة مرات على السرير وقالت: أنت!! ماذا تفعل هُنا!!

رد خالد: أنتِ مريضة ياسين!!

قالت بحدة شديدة: ليس لكَ شأن!!

أنت هُنا!! أنت هُنا لتُخرب حياتي مرة أخرى!!

لماذا عُدت إلى هُنا؟!! لماذا هززت كياني وفؤادي مرة أخرى؟!

لما دعوت أحزاني وآلامي للعودة؟! ألم تكتف بقتلي؟!

اذهب من هُنا!! هيا اذهب! دمرتني! ودمرت حياتي بأكملها!

وعندما تُعطيني الحياة فُرصة أخرى! تعود؟!!

لمَ تفعل هذا بي؟!!! ماذا فعلتُ لكَ؟!!! ألم يكفي؟!!

تنفتح بوابة صغيرة لتبدأ سيمفونية لحن عذب لموسيقار بارع، وتحتضن شجرة الياسمين أغصانها في دلال، وتتساقط قطرات الندى على أوراق الشجر، وتعطي رونقا بديعا، اكتملت كرة الشمس في الظهور، وتستعد لفتح حقائبها الواسعة التي تكونت هنا وهناك، لتنعكس ألوان الطيف وتتعانق في الهواء، وكأنها تطبع على جبين السماء قبلة الحياة، لتستيقظ الأرض من نومها بعد ليلٍ طويل، وتبدأ أشعتها التسلّل رويدًا رويدًا، حتى تُلصق اصفرارها على وجه الجدران، فتتلوّن الأرض بكلّ ألوانها الزاهية، بعد أن كان يطمسها الظلام ويغطّيها بسواده، فترسم البهجة على النوافذ..

تستيقظ من غفوتها المضطربة، مصاحبة كوابيس مكررة برتابة مستفزة، تتلملم في سريرها الوردي المرتب بعناية، تحاول تنظيم أنفاسها، وتكتم دموعها التي تجمدت داخل مقلتيها وتأبى أن تترك لها الحرية في الخروج، يغمرها العرق بغزارة، تنظر بعين باهتة إلى الزهور الذابلة على الطاولة الخشبية، تستحضر ذكرياتها المؤلمة، تبتلع ريقها بصعوبة بالغة، تجر قدميها إلى النافذة، لتقف أمامها وتنظر إلى أشعة الشمس الحارقة.. وتأتيها جدتها وتقول:

هيا تجهزي؛ حان وقت الذهاب إلى المستشفى..

تمت بحمد الله

إهداء إلى:

خالد الدسوقي.
نادر حمادة.
عبدالفتاح محمد.
محمد عُمر.
نادر خالد.
كريم عبدالفتاح.
وليد حمادة.
إياد جهاد.
ربيع السيد.
إسلام أشرف
محمود كامل.
محمد التهامي
عامر المتولي.
عبدالرحمن حسين.
عبدة عبداللطيف
أحمد راضي

نادر حمادة.
حسين مندور.
أحمد فرج.
أحمد الشيخ.
علي عوض.
أحمد البلقاسي.
محمد علي ياسين
بدر عبدالرحيم.
صُبحي إبراهيم
محمد فتحي
أحمد الشرقاوي
أحمد سعد
أحمد مُصطفي
محمد ناصر
أحمد عبدالنبي
أحمد رزق

مايكل.	حسن علي حسن
أحمد صلاح	علي جمال
عبودة عُمر.	عبدالله نيل
أحمد عطية.	كريم علي.
طارق ياسر.	محمد زغلول
عمار جمال.	المنوفي.
عمرو خالد.	نبيل زغلول
أحمد علي.	سعد محمد.
أحمد الشوادفي.	وليد ربيع
عاصم محمد.	محمد ياسر.
خالد بالو.	يوسف خالد.
عبدالعزيز خالد.	يوسف عبدون.
محمود البسطويسي.	عُمر رضا.
إبراهيم صبري.	عبدالرحمن صبري.
محمد الأبس.	عبدالرحمن الششتاوي
محمد مُصطفي.	محمد حلمي.
إسلام خالد.	حسين جمال.

أحمد حجازي.	محمد علاء
إبراهيم ناصف	محمد إيهاب
خالد شوقي	المُختار البُخاري
شيماء عزت	إسراء حسين
هند حنورة	شيماء هاشم
أماني زهران	آية حلمي
نجاح رضا	فاطمة علي
مروة محمد	يارا عزت
شيماء حمادة	عزة خالد
إيمان ربيع	آلاء ربيع

إهداء خاص:

إلى ربيع السيد، أبي الثاني ومُعلمي، وقدوتي، شُكرًا للطفك النبيل، شُكرًا لقبك الطاهر، شُكرًا لوقوفك بجواري دائمًا، شُكرًا لك.

***

خالد الدسوقي:

لدي ضلعان؛ الأول لي والثاني لك، سنوات قضيناها معًا في صفاء ونقاء داخلي؛ شُكرًا لكَ ولتحملك لي في أصعب لحظات حياتي..

***

عبدالفتاح غازي:

ضلعي الثالث، أخي الذي أكن له حُبًّا لا يسع حبيبين، دُمت بصفاء قلبكَ وعفويتك الغبية، دُمت لنا ودامت روحكَ..

***

محمد عُمر:

ضلعي الرابع، فقد أظهرت ضلعين آخرين واحد منهما من أجلكَ، لا تحلو حياتي سوى بك.

نادر حمادة:

ضلعي الخامس، فقد اكتشفت أنني أملك ضلوعًا كثيرة، وأكن لك واحدًا منهم، أخي وصديق روحي..

***

نادر خالد:

ضلعي السادس، عصفور حياتي الطويلة البيضاء، دائم النُصح والإرشاد، لا يفعل سواه أخي طبعًا..

***

إياد فودة

أجدع من قابلت، وأطيب من تعاملت معه، وأرجل من شاورت، أُكن له من الحُب كثيرا، ربنا معك يا بطل..

***

أحمد الشرقاوي

صديقي وأخي، ضلعي السابع، فقد اشتريت اثنين آخرين، واحد منهما لأجلك، أحُبك كثيرًا وأحب قلبك الطيب وتفاهتك البغيضة..

***

عبده عبداللطيف:

ضلعي السابع، صديقي العزيز، صاحب الفكر المجنون المختلف، أطيب من قابلت في حياتي، أخي وصديقي، أكن لك حُبًّا جمًّا..

***

محمد علي:

جميع أضلعي السابقة التي وزعتها هي من أجلك، أنت من أقرب الناس القابعين الجالسين على عرش قلبي..

***

التهامي

يُعد من أقرب الناس إلى قلبي، أرى له مستقبلًا محملًا بالعظمة التي تتجلى فوق الرءوس، في انتظارك..

***

عبدالرحمن حسين:

أخي وروحي وكياني، لا يمكن استكمال الحياة بدونهِ، دمت بصحة وعافية وأملٍ وطيبة وحنانٍ..

***

وليد حمادة

أخي جدًا، وأكثر من أحبه في حياتي بأكملها، قلبهُ أبيض حد النقاء، أهدي لكَ جزءًا من نصائحك، شُكرًا لك دائمًا وأبدًا.

***

هند حنورة:

إلى أمي الثانية، إلى ومن وقفت بجواري في أسوء ما يُمكن، إلى القلب الرهيف الجميل النقي الذي لم يتبق منهُ سواكِ، إلى ذات الحُسن والجمال، صاحبة فضل كبير على حياتي، وبدونها لا تُسمى حياة، إليكِ أكتُب.

***

أماني زهران:

إلى فُكاهتي الجميلة، وأجمل من كان متواجدًا بحياتي، إلى صاحبة الضحكة التي تشج القلب إلى نصفين، إليكِ أكتب، أنتِ بقلبي دائمًا..

***

سُندس ممدوح:

إلى عابرة السبيل، ذات الصُدفة المُزهرة بالسندُس، إليكِ أكتب، وإليكِ أهديكِ يا ابنتي..

***

علياء حمدي

تشعر عند محادثتها وكأنك في عالم آخر، هي زهرة وأية زهرة، زهرة قد فاح عبيرها ليغطي قلبي..

***

رحاب

وفقكِ الله لما يحب ويرضى، بقلبك الطيب وشخصيتك الطيبة وحياتك العفيفة الطاهرة..

***

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.